رواية
ولقلبي أيضاً حق
منال عساف

رواية

لقلبي أيضا حق

منال عساف

تصدير

أحيانا تتبدد أحلامنا وآمالنا، في ظل أمواج متتالية من حب التملك والأنانية، حتى تلقي بنا في بحر لجيٍّ، لا نكاد نرى حتى أنفسنا.

ولا نعلم: هل هذا هو قمة الضعف؟

أم أقصى درجات القوة؟

بينما إذا استطعنا أن نترك مخاوفنا تذوب في قطرات مطر، لأصبحت أرواحنا البريئة ندية وصافية.

-1-

بين الغفوة والصحو يسمع همهمات وحديثاً بصوتٍ منخفض، هذا الصوت ليس غريباً عنه، هو صوت والده يتحدث مع شخص آخر، بصعوبة يفتح عينيه ليجد نفسه في حجرة تفوح منها رائحة المعقمات ويعلق بذراعه أنبوب مطَّاطي طويل، ينتهي بزجاجة محلول .. جال بنظره في الحجرة فأدرك أنه يرقد في مستشفى، نادى بصوتٍ يغلب عليه الإعياء:

- أبي .. أبي

سمعه والده وهو يقف مع الطبيب خارج الغرفة فأسرع إليه

- أنا هنا يا نورالدين
- أبي .. ماذا حدث؟ ولمَ أنا هنا؟
- لا تقلق مجرد ضغط عصبي من شدة حزنك
- ألهذا الحد صارت أعصابي ضعيفة؟ أنا تحملت صدمات أكبر من هذه الصدمة في حياتي، لكن هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بهذا الضعف
- أنت لستَ ضعيفاً، بالعكس، طوال حياتك كنت قوياً برغم رومانسيتك الشديدة وطيبة قلبك، لكن كل الحكاية أنك لم تتحمل الصدمة، غياب ياسمين

عنك سبَّب لك أزمة نفسية، وقلة الطعام سببت لك ضعفاً عاما .. أرجوك يا بُنَي إذا لم تخف على نفسك خِفْ علي، فأنا لا أستطيع رؤيتك في هذه الحالة.

- أنت تعرف يا أبي كم أخاف عليك، لكن رغماً عني، ياسمين هي كل حياتي، الفترة القصيرة اللتي عشتها معها عوضتني عن كل الحنان والحب الذي حرمت منه، عرفت المعنى الحقيقي للسعادة وهي بجواري، ياسمين إنسانة تشعر بالسعادة عندما تسعد الآخرين، هي الملاك الذي أهداني به ربي، فكيف يا أبي أستطيع أن أنساها وابتسامتها وخيالها معي في كل لحظة؟!
- لم أطلب منك نسيانها، ولكن أريدك أن تستعيد قوتك في الخروج من هذه الحالة بأسرع وقت ممكن، أرجوك .. أرجوك يا نورالدين!

وسالت دمعة من عين الأب لم يستطع أن يمنعها، فتأثر نورالدين بشدة وقال :

- أبي .. لا تبكِ أرجوك، أعدُك بأني سأحاول الخروج من هذه الحالة وأستعيد نفسي، ولكن لا تجعلني أرى دموعك أبدا.

***

صباح يوم جديد، شمسٌ مشرقة تحيط المكان بالدفء، يفوح عطر أشجار الياسمين التي تملأ المكان وتبعث في النفس الراحة والهدوء، نورالدين يجلس على مقعدٍ في الرووف شارداً في ذكرياته الجميلة، وصوت ياسمين يتردد في أذنه: حبيبي أنا لا أريد منزلاً تقليدياً، أنا أريد المكان الذي يجمعنا معاً يكون مختلفاً بقدر الحب الذي في قلوبنا.

ضحك نور الدين وبصوت تملؤه البهجة قال:

- إذن أنتِ تريدين الكون كله يا ياسمين، من أين آتي لكِ بشئ يساوي حبي لكِ حبيبتي!

فتحت ذراعيها وهي تتحرك هنا وهناك أثناء حديثها معه كأنها تحلق في سماء الحب:

- أريد أن نقيم في رووف لأجعل منه جنة وأخصص فيه ركناً للعب الأولاد، وأملأ كل جوانبه بأشجار الياسمين وبعض الأشجار الأخرى التي أحبها.

فدخل بين ذراعيها واحتضنها، ثم قال:

- بقدر سعادتي سوف أفعل كل ما أستطيع لأسعد قلبك، فقط أريد أن تبقي معي ولا تبتعدي عني أبداً.

(ينتبه نورالدين على صوت الأب حاملاً بيده صينية عليها ما لذ وطاب من إفطار)

- ما رأيك في هذا الإفطار اللذيذ؟ لقد أوصى الطبيب بالغذاء الجيد حتى تستعيد صحتك.

جلس الأب الحنون يُطعم ابنه كالطفل، كان نورالدين يبتسم والحزن يملأ عينيه، لكن هذا المشهد جعله يتذكر أنه كثيراً مايفعل نفس الشئ مع أولاده، فسأل والده: هل الأولاد بخير؟

- نعم بخير ويلعبون في غرفتهم، لقد اتصلت بك مروة أكثر من مرة، لماذا لا تعطيها فرصة ثانية فقد تكون تغيرت بالفعل؟
- ماذا تقول يا أبي؟ ألا يكفيها أنها تسببت فيما حدث!
- أنت تعلم أن كل ما فعلَتْه لأنها تريد العودة إليك؟
- وأنا لا أريد أن أراها يا أبي ولا أن أسمع صوتها
- هوِّن على نفسك يا نورالدين، أنت وعدتني بأن تحاول أن تتخطى هذه الأزمة وتستعيد حياتك.
- أنا بالفعل أحاول يا أبي ولكن ليس من السهل أن أفعل ذلك، فكل ما حولي يذكرني بياسمين.

ثم التفت ينظر إلى أشجار الياسمين من حوله وقال:

- أتذكر يا أبي يوم أن ذهبَت معك وأحضرت كل أشجار الياسمين هذه؟ أتذكر كم كنا سعداء في ذاك اليوم، ياسمين يا أبي منذ أن دخلت حياتي جعلتني أشعر بأني ملكت الكون كله، وأعتقد أني مهما حاولت أن أعيش حياتي بدونها لا ولن أفلح، فأنا وُلدتُ من جديد يوم دخلت حياتي وماتت روحي يوم أن تركتني و رحلت.

-٢-

ياسمين

على شاطئ فى قرية من قرى الساحل الشمالى الهادئة، كان الجو رائعاً والهواءُ منعشاً والنجوم تتلألأ فى السماء الصافية، والقمر مضيئاً رائعاً يختفى خلف السحاب الأبيض ويظهر ثانياً فى شكل لوحة رائعة، وحده الخالق هو القادر على إبداعها .

جلست ياسمين على مقعد قريب من البحر ومدَّت ساقيها أمامها .. وضعت سماعاتٍ صغيرة في أُذنيها تَبُث موسيقى هادئة من الهاتف المحمول؛ ليتناغم صوت الأمواج مع نغمات الموسيقى فتشعر أنها غابت بقلبها وعقلها عن كل من حولها.

ياسمين شخصية جذابة، متوسطة الطول، يميل لون بشرتها للأشقر، عيناها باللون البني الفاتح الذي يزداد بريقاً في الضوء، شعرها المائل لونه للأشقر مُنسدل دائماً على كتفيها، ويتناغم لون بشرتها مع الطبيعة فيزداد إشراقاً وصفاءً، رقيقة كالنسمة، رومانسية، تحب الحياة، تعشق الانطلاق وتحيا من أجل الحب، تشعر أنها مثل الزهرة التي

تحيا بالماء والهواء، فهي تريد أن ترتوي وتتنفس بكلمات الحب الصادقة .. شردت ياسمين بذهنِها فى عالمٍ آخر، ذكريات طفولة مع العائلة على الشاطئ، ماضٍ وحاضر، وبينما هى هائمة فى عالمها نظرت أمامها فوجدت شخصاً يقف أمامها وينظر إليها، فنظرت له بتعجب وشعرت بخجل ونظرت إلى اتجاه آخر من الشاطئ، وعندما عادت بنظرها إلى مكانه لم تجده، فتلفتت حولها، ولا تعرف لماذا نظرت كأنها تبحث عنه، ولكنه كان قد اختفى من المكان كأنه كان سراباً .. عادت لذكرياتها ونسيت الأمر ومضى عليها الوقت وهى تشعر بسعادة تدفعها للانطلاق، كانت تمشى على الشاطئ تريد أن ترقص أو تطير، هكذا كانت شخصية ياسمين، دائماً تجد سعادتها مع الطبيعة، السماء ونجومها المتلألئة، والقمر معشوقها وكاتم أسرارها، الهواء النقى المنعش، كل هذا يشعرها أنها عادت طفلة ببراءة الطفولة وانطلاقها دون خوف أو شعور بمن حولها.

عادت ياسمين للشاليه وقضت بعض الوقت فى تناول وجبة سريعة ومشاهدة بعض قنوات التلفاز، ثم جلست تستمع للموسيقى وتقرأ؛ فهى تحب القراءة وخاصة فى هذا الجو الهادئ، وقبل منتصف الليل

سمعت ياسمين نغمات الهاتف المحمول، نظرت إلى الشاشة المُضيئة، وأمسكت بالهاتف، وأجابت بصوت حنون: آلو حبيبي كيف حالك؟

- أنا بخير حبيبتي .. كيف حالك أنتِ؟هل تستمتعين بالوقت؟

- نعم يا أحمد لا تقلق بشأني، ليست المرة الأولى التي آتي هنا وحدي، ولكن ألم تفكر في المجئ إلى هنا؟ الجو هُنا أكثر من رائع!

أحمد: كنتُ أتمنى ذلك، بل أحتاجه بشدة ولكن ظروف العمل تمنعني

ياسمين: لكني أشعر بحزن في صوتِك حبيبي ماذا بك؟

أحمد: لا شئ حبيبتي فقط استمتعي بوقتك ولا تفكري بشئ آخر.

ياسمين: حبيبي إذا شعرت أنك تريد أن تتحدث مع أحد لا تتردد في المجئ، فقط أخبرني كي أبقى في انتظارك.

أنهت ياسمين المُكالمة وذهبت لغرفة النوم، أرادت أن تكمل القراءة ولكنها كانت تشعر بالقلق على

أحمد .. ظلت تفكر في أمره وصوته الذي يوحي بأنه حزين إلى أن استسلمت للنوم.

***

أشرق صباح اليوم التالى، استيقظت ياسمين نشيطة، تناولت إفطارها وظلت ترتب بعض الأشياء فى الشاليه ثم قررت أن تذهب لمكتبة القرية لشراء بعض الكتب، وذهبت بالفعل، وبينما كانت تبحث عن الكتب التى تريدها لمحت شخصاً قريباً منها فنظرت إليه، شعرت أنها رأته من قبل، "نعم تذكرتُ، هذا هو الشخص نفسه الذى رأيته بالأمس على الشاطئ"، هكذا كانت تُحدث نفسها عندما نظرت إليه، فنظر إليها وابتسم، فابتسمت له واستدارت تكمل اختيارها للكتب .. كانت تبحث بين الأرفف عن بعض الكتب، ولاحظت أنها كلما مدت يدها لتأخذ كتاباً يختار هو أيضا نفس الكتاب، كما لاحظ هو الشئ نفسه، فعلم كلاهما أنهما متشابهان فى شئ، ومضى كل منهما فى طريقه، وعندما وصلت إلى الشاليه وانتهت من بعض المهام، جلست تتصفح الكتب لتختار الكتاب الذى ستبدأ بقراءته، ورد فى خاطرها ما حدث فى المكتبة فابتسمت وقالت لنفسها: "قد يكون كل ما حدث صدفة عابرة وانتهت".

وجلست تقرأ وهى لا تشعر بالوقت، إلى أن أطل الصباح بنوره وظهر لون البحرِ الرائع مع الشروق، فجذبها المنظر الرائع بشدة أن تخرج للتمشية على البحر، ذهبت ياسمين للشاطئ وجلست تتأمل روعة الطبيعة الخلابة وشرد ذهنها، وكانت دائما تعود بذاكرتها للماضي، تتذكر والدها الحنون قبل رحيله عندما كان يصحبها للتمشية على الشاطئ ويمسك بيدها ويظل يتحدث إليها عن كل شئ في الحياة، وكيف كان يتناقش معها في هدوء، وتذكرت شقيقها أحمد وكيف كان والدها مُعارضاً لفكرة زواجه من ابنة عمه لأسباب كثيرة، وبينما هي تمشي على الشاطئ لمحت شخصاً يجلس على مقربةٍ منها يقرأ، فانتظرت حتى اقتربت منه أكثر، ثُم استرقت النظر لوجهه فوجدته هو .. هو الشخص ذاته الذي رأته من قبل على الشاطئ وفي المكتبة، وفي لحظة مرورها شعر بها فنظر إليها وجعلته المفاجأة يبتسم ابتسامة عريضة، فابتسمت هي الأخرى وظلت ابتسامتها معها بضع خطوات وكأنها تسأل نفسها لماذا تراه أمامها في كل مكان تذهب إليه ؟ هل هي بالفعل صدفة؟

شعرت باهتزاز الهاتف في الحافظة الصغيرة التي تتعلق بحزام يُحيط خصرها، فنظرت على الشاشة فوجدت اسم شقيقها .. أجابت مسرعة:

- حبيبي صباح الخير

فجاءها صوته ضعيفا مرهقا: صباح الخير أين أنتِ حبيبتي؟

ياسمين: خرجتُ للتمشية على الشاطئ، ماذا بك يا أخي؟

أجابها أحمد: أنا أنتظرك في الشاليه وصلت من دقائق قليلة.

أجابت ياسمين في سعادة وتعجب أيضا:

- حقاً؟! دقائق قليلة وأصل إليك.

وضع أحمد أغراضه في غرفته، ثم ذهب إلى المطبخ لإعداد فنجان من القهوة، ثم سمع صوت الباب يفتح ويُغلق، علم أنها ياسمين، اتجه نحوها فوجدها مسرعة إليه تحتضنه، فضمها في حنان وربت على يدها قائلاً:

- الوقت باكر على الخروج للشاطئ، أعتقد أنكِ لم تنامي الليلة الماضية؟

ياسمين: بالفعل لم أنم ولكني بخير، ماذا بك أنت حبيبي؟ ولماذا لم تخبرني بالأمس أنك سوف تأتي اليوم؟

أحمد: لم أفكر أن آتي ولكن الأمر ازداد سوءًا ولم أنم طوال الليل فقررت المجئ فجأة!

ياسمين: الحمدلله على سلامتك يا أحمد استرح أخي ثم أخبرني ماذا بك؟

أحمد: لا جديد في حياتي كي أخبرك به سوى سبب الخلاف فقط، تتعدد الأسباب والشعور واحد، لم يتغير شعور أحدنا تجاه الآخر رغم مُضي السنوات.

وأمسك فنجان القهوة يرتشف رشفة، فسألته ياسمين :

- ورغم وجود الأولاد؟

أحمد: نعم رغم كل شئ، ورغم محاولات الجميع لم نشعر بالحب يقترب من قلب أحدنا، أشعر بالندم على ما فعلت بنفسي حينما وافقت على الزواج منها وأنا لم أشعر تجاهها بأية عاطفة، ولكنها أمي، كانت أوامرها صارمة وكنت أصدقها

عندما كانت تقول لي: "سوف تحبها بعد الزواج كثيرا، وسوف يأتي عليك يوم لن تستطيع أن تبتعد عنها لحظة واحدة" .. ومضت السنوات ووجدت نفسي لا أشعر بالسعادة إلا وأنا بعيد عنها، وكيف أشعر بالسعادة مع إنسانة صامتة، طوال الوقت حزينة؟ لا تُحب أن تجلس أو تتحدث معي، لا تستطيع أن تُخفي أنها أُجبرت على الزواج مني بسبب الظروف التي دفعتها لذلك.

اقتربت ياسمين من أحمد وبصوت يملؤه الحُزن على حال أخيها قالت: كنتُ أظن أن وحدتها بعد رحيل أبويها سوف تجعلها تُحبك وتقترب منك وخاصة أنها لم تكن لها أشقاء أو شقيقات، أليست هناك طريقة واحدة تحاول بها أن تحيا حياة سعيدة معها؟

أحمد: حاولت بكل الطرق لكن دون جدوى.

وبدا وكأن صوته يختنق بالدموع، ثم نهض واقفا وهو يقول:

- يبدو أن الأمر أكبر من ذلك بكثير

ياسمين: كيف؟ أخبرني

أحمد: يبدو أن نهال كانت تُحب شخصا آخر قبل زواجنا، ولأنها إنسانة سلبية وافقت على الزواج مضطرة، لم تستطع أن تُبدي رفضها لي أمام والدها واستسلمت لأمره.

ياسمين: كأنك واثق مما تقول يا أحمد!

أحمد: نعم كل الثقة لأني سمحت لنفسي يوماً أن أقرأ قُصاصات أوراق تكتب فيها شيئا من الماضي وآخر من الحاضر، فعلمت ما تُكن في صدرها وتأكدتُ ألا أمل في حب بيننا.

وماذا فعلت أنت؟

أحمد: لا شئ .. ماذا كنت تتوقعين أن أفعل؟ هل يجب علي أن أحاسبها على ماضٍ لم أكن فيه؟ أم أعاقبها على حاضر لم يكن لها ذنب في اختياره؟ هل ألومها على أنها وافقت والديها وهي ابنة مغلوبة على أمرها وأنا الرجل فعلتُ مثلها ووافقت أمي وخشيت أن أغضبها، أنا فقط في كل مشكلة أهرب لعدة أيام كما أفعل الآن ثم أعود من أجل أبنائي، هم نقطة ضعفي، فأنا لا أستطيع الحياة بعيدا عنهم، وهم أيضا لا يستطيعون الحياة بعيدا عنها

نهال ظلمت نفسها عندما استسلمت لرغبة والدها، وأنا أظلم نفسي الآن لأني ضعيف أمام سعادة أبنائي

ياسمين: وهل هذا عدل أن تحكم على نفسك بالشقاء طوال حياتك وتظل محروما من الحب والحنان؟

أحمد: هذه أقدارنا لا نستطيع تغييرها إلا إذا كانت لدينا القدرة على ذلك، وأنا ليست لدي أية مقدرة على التضحية بسعادة أولادي، دعكِ من مشكلتي التي ليس لها حل وأخبريني عن قلبك أنتِ كيف حاله؟ ألم يجد القلب الذي يبحث عنه بعد؟

ياسمين: ليس بعد يا أخي، ليس الأمر سهلا

أحمد: أن تجدي الشخص المناسب فهذا أمر سهل، ولكن الصعب أن تجديه بكل المُواصفات التي تريدينها، أنتِ تريدينه ملاكاً وليس بشراً

ضحكت ياسمين وقالت: ولم لا أتزوج ملاكاً يسعد قلبي ويُعاملني معاملة طيبة وأعيش معه في الجنة؟

وضحكت ياسمين

أحمد: أتمنى أن تتزوجي من يُسعد قلبك ويسعد بكِ يا حبيبتي، وألا تتزوجي من أجل الزواج فقط.

ياسمين: وهل من الممكن أن أفعل ذلك؟ هذا مستحيل يا أخي، وأنا أيضا أتمنى لك أن تسعد يوماً بالحب مع زوجتك وأولادك.

أحمد: أشكرك حبيبتي ولكن دعيني أنام بعض الوقت كي أستطيع أن أستعيد توازني، فقد أنهكني السفر وعدم النوم.

ياسمين: لك ما تريد، وأنا سوف أعد لك الغداء.

أحمد: كيف ذلك؟ أنتِ أيضا لم تنامي جيداً، يجب أن تنامي بعض الوقت لتستريحي وعندما نستيقظ نطلب وجبات جاهزة .. ما رأيك؟

- قد يكون معكَ حق لابد أن أن أستريحَ قليلا.

وذهبت للنوم وقلبها حزين على حال أحمد، وظلت تسأل نفسها في استغراب، كيف يعيش زوجان في بيتٍ واحدٍ ويكره كلاهما وجود الآخر؟ وأجابت نفسها في عصبية: "لابد أنه الجحيم بعينِه، مسكين يا أخي، سامحكِ الله يا أمي!!"

***

بعد ساعاتٍ قليلة، نهض أحمد من الفراش، كانت ياسمين مازالت غارقة في النوم، تركها أحمد وذهب ليحضر الغداء من مطعم قريب، هو يعلم أن ياسمين تحب السمك ولكنها بالتأكيد لا تفضل أن تأكله وحدها، فقد كانت الوجبة المُفضلة للعائلة في المصيف .. كان أحمد يستعيد ذكريات الطفولة في الصيف أثناء انتظاره طهي السمك، كان أحمد طفلاً مطيعاً وهادئا أيضا، لا يُحب أن يُغضب شقيقاته، ودائما كان يُحضر لهم ما يحبونه، وهم أيضا لا يحبون أن يزعجه شئ لذا كانت ياسمين لا تُوافق على زواجه من نهال؛ لأنها كانت بالنسبة لهم شخصية غامضة إلى حد كبير، ولكنه كان حريصا على إرضاء والدته.

عاد أحمد إلى الشاليه، كانت ياسمين تتقلب في الفراش تستعد للنهوض، فناداها أحمد مُهللاً :

- انهضي حبيبتي أحضرت لكِ شيئا تُحبينه

نهضت ياسمين قائلة: أكيد وجبة السمك، كم اشتهيتها ولم أرد أن أتناولها وحدي! أشكرك جداً حبيبي.

وجلسا معاً على مائدة الطعام، وبعد أن انتهيا من تناول الغداء، جلسا معا في الشرفة المُطلة على الحديقة، كانت ياسمين تحاول أن تُخفف عن أحمد ألمه، فكانت تستعيد معه ذكريات الطفولة ويضحكان معاً، تذكرت أنه يحب لعبة الشطرنج فأحضرته ياسمين وجلست تلعب معه ويتحدثان أثناء اللعب.

مضت ساعة من الوقت وبعدها تفوق أحمد على ياسمين، فكانت تمزح معه وتضحك محاولة أن تخلق جواً من السعادة لأخيها يجعله ينسى آلامه التي جاء هارباً منها، ثم جلسا معاً يشاهدان التلفاز، وبعد ذلك جلس أحمد في الشرفة يُنجز بعض الأعمال على الحاسب الخاص به، وجلست ياسمين تقرأ إلى أن غلبهما النعاس فأخلدا للنوم.

في صباح اليوم التالي استيقظا وتناولا إفطارهما، ثم ذهبا معا إلى الشاطئ، كان البحر هادئا بأمواجه، ورائعاً بلونه .. جلسا معاً على الشاطئ، كان أحمد شارداً يغلب الحزن على نظرات عينيه، يشعر أن همومه أكبر من أن ينساها ومشاكله أكبر من أن يستطيع حلها، فأرادت ياسمين أن تُسَرِّي عنه

فقالت: في البحر نغتسل من آلامنا وهمومنا. نهضت من مقعدها وجذبته من يده نحو البحر وهي تضحك وتقول له: لنسبح قليلاً إلى أن تذوب همومك وآلامك في الماء.

مضت ساعة وهما داخل البحر يسبحان ،ويتسابقان ويضحكان كأنهما عادا طفلين من جديد .. شعر أحمد بالسعادة ونسي الألم الذي أتى به، وأثناء خروجهما للشاطئ لمحت ياسمين ذلك الشخص الذي رأته من قبل، ولكن عندما تقابلت أعينهما لم يبتسم لها كالمرات السابقة، ولم تفكر كثيراً في الأمر، ارتدت (البُرنس) فوق ملابس السباحة، ثم توجهت هي وشقيقها إلى السيارة وعادا معاً إلى الشاليه.

في الليل جلسا يلعبان ويضحكان، ثم وجد أحمد هاتفه يهتز فنظر في شاشته المضيئة، فوجد اسم نهال، رد أحمد على الهاتف بصوت قلق:

- آلو :

فجاء صوت نهال معاتبا: أين أنت يا أحمد؟

فأجابها متأففا: ماذا حدث؟

نهـال: ابنك زياد يعـاني من بـردٍ شـديد ويحـتاج أن نذهـب بـه إلى الطـبيـب.

صَمـت أحـمـد قـلـيـلا ثـم أجـاب: فـي الصـبـاح سـوف آتــي إليكـم

نهـال: لا تتـأخـر أرجـوك

أحـمـد: لا تقـلقـي.

أغـلق أحـمد الهـاتف ثـم استدار نحـو يـاسـمين قـائلا:

- أرأيـتِ كـيف أنـها لا تسـتطيع أن تعـتمد على نفسـها في الأمـور الصـعبة لابـد مـن وجـودي بجـانب أبنـائي دائمـاً

يـاسـمين: أليـس من الممكـن يـا أخـي أن يـكـون هـذا نـوع من الحـب، أعني أنهـا تشـعـر بالاحـتياج إليـك في المـواقف الصعبة.

أحـمـد: كـيف تقـولين هـذا يا ياسـمين وأنـتِ تعـلمـين معنى الحـب جـيـدا؟ دعـكِ من هـذه التسـاؤلات الآن، سـوف أعـود في الصـباح حـتى أذهـب مع زياد إلى الطـبيب فهـل تريـدين العـودة معـي أم ستبقـين هـنا؟

نعم حبيبي سوف أبقى هنا إلى أن تقترب عودة أمي من أمريكا، حتى لا أشعر بالملل في القاهرة فأنا أشعر هنا بالراحة أكثر.

- كما تحبين، فقط اعتني بنفسك جيدا واستمتعي بوقتك حبيبتي، أشكركِ جدا حبيبتي لأني بالفعل قضيتُ وقتاً سعيداً بمساعدتك.

في الصباح، نهض أحمد وياسمين، وبعد أن أعد أغراضه وتناول إفطاره معها، غادر المكان وذهب ليعود لأولاده وزوجته وعمله، وعادت ياسمين تجلس وحيدة في الشاليه، وفجأة يجول بخاطرها الرجل الذي رأته أكثر من مرة، وتسأل نفسها: "تُرى ما الذي جعله ينظر لي غير مبتسم في المرة الأخيرة كأنه غاضب مني، غريب هذا الشخص!" .. هكذا قالت لنفسها ونهضت أعدت فنجاناً من القهوة وجلست تقرأ في كتاب كعادتها .

-٣-

شعور بالحب

كان نورالدين قد شعر بانجذاب لشخصية ياسمين منذ أن رآها في المرة الأولى على الشاطئ.

نور الدين إنسانٌ حنون، طيب القلب، يعشق الحب ويحب الحياة، وسيم، هادئ الطباع، ملامح وجهه تشبه ملامح الطفل في براءته، وهو إنسان على خُلُق، يعشق القراءة ويهوى كتابة الشعر، رومانسي إلى حد كبير.

كان يشعر في كل مرة يرى فيها ياسمين أنها تشبهه في شئ ما، فينجذب إليها أكثر ويشعر بالسعادة، ولكنه في المرة الأخيرة، عندما رآها مع أحمد، شعر بخوفٍ وظل يفكر فيها وفي الشخص الذي كان معها ويسأل نفسه: "ماذا لو كان زوجها؟"، ولكنه يرد مُحَدثاً نفسه:

"وماذا يضرني أنا من ذلك إذا كنت لم أرها سوى مرات قليلة جدا .. فماذا حدث لي؟"

لم ينم نورالدين ليلته تلك، ظلت تتردد في عقله أسئلة كثيرة مثل: ما الشئ الذي جعلني أفكر بها

ولماذا؟ نظراتها وابتسامتها تجعلني أشعر بأني كنت أبحث عن شئ ووجدته في تلك اللحظة التي تبتسم فيها أو تنظر إليّ، ماذا أفعل؟ لا ليس من حقي أن أفكر فيها وأنا لا أعلم عنها شيئا ولكن .. لكن ماذا؟ لا شئ لابد أن أنام الآن.

ثم استسلم نور الدين إلى لنوم

***

في اليوم التالي كانت ياسمين مُتعبة قليلا فلم تخرج من الشاليه طوال اليوم، استقبلت مُكالمة من والدتها مع شروق الشمس، ونَسيت الأم فرق التوقيت فأيقظتها باكرًا حتى تطمئن عليها هي وشقيقها، وظلت ياسمين تتحدث مع والدتها وتخبرها عن حال أخيها وتُلقي باللوم عليها لأنها هي السبب في هذا الزواج غير الناجح، وظلا في جدال طويل كان نتيجته أن وعدت الأم ياسمين بأن تُحاول مع زوجة ابنها بعد عودتها، من أجل سعادة الجميع، وبعدها شعرت ياسمين باحتياجها لساعات أكثر من النوم واستسلمت بالفعل وراحت

في سبات عميق، وبعد أن استيقظت ظلت جالسة في الشاليه طوال اليوم.

***

كانت الشمس قد اقتربت من الرحيل، وكان نورالدين ينتظر على الشاطئ، ولكن ياسمين لم تأتِ، فوجد نفسه يذهب إلى المكتبة لعلها تكون هناك، ولكنه لم يجدها في أي مكان، وحينها أدرك أن ياسمين بدأت تتسلل إلى قلبه، فشعر بالخوف من هذا الإحساس الذي لا يستطيع أن يُقاومه .. ظل طوال الليل يتحدث مع نفسه ليجد تفسيراً لما يحدث له فلم يستطع، وأخيراً شعر بالإرهاق، فدخل حجرة نومه وألقى بجسده على الفراش.

في صباح اليوم التالي استيقظت ياسمين على شدو الطيور، فنهضت نشيطة، تناولت إفطارها، ثم أعدت فنجان القهوة الذي تشتاق إليه وجلست في الشرفة تستمتع بجمال الطبيعة وترتشف قهوتها في بطء، وتستنشق هواء الصباح النقي ..

سمعت رنين الهاتف، كانت صديقتها الحميمة ولاء ردت ياسمين : اشتقتُ إليكِ كثيرا.

ولاء : لهذا نسيتني ولم يصلني منكِ إتصالا واحدا! كيف حالك حبيبتي؟

ياسمين: بخير لماذا لم تأتِ لقضاء يوم أو أكثر معي .. سوف تستمتعين بهذا الجو الرائع.

ولاء: ليتني أستطيع يا ياسمين لكنه العمل.

ياسمين: ما رأيك أن تأتي في نهاية الأسبوع؟

ولاء: لن أستطيع .. دعكِ من ذلك الأمر وأخبريني متى ستعودين أفتقدك بشدة؟

ياسمين: سأبقى هنا إلى أن تأتي أمي وحتى أستمتع بإجازة الصيف، فقد لا أستطيع أن آتي مرة أخرى بسبب العمل، ولكن إذا أُتيحت لكِ الفرصة أن تأتي فلا تترددي أرجوكِ.

ولاء: أعدك بذلك حبيبتي.

وأنهت ياسمين المكالمة وقامت لتستعد للذهاب إلى الشاطئ، راحت تُعد أغراضها التي سوف تحتاج إليها.

ذهبت ياسمين وجلست أمام البحر وكعادتها، وضعت السماعات في أذنيها لتستمع إلى الموسيقى، وتناولت كتابا في يدها وظلت تقرأ في صفحاته وهي

شبه منعزلة عما حولها إلا من نظراتها للبحر من آنٍ لآخر، ويشرد ذهنها قليلا مع لونه الرائع.

كان نورالدين يجلس على مقربة منها ولكنها لم تره، فكان يتأملها ويشعر بالسعادة لأنه يراها أمامه، ولكنه كان قلقاً أيضا لأنه يريد أن يتحدث إليها ويخشى أن يكون مُتطفلاً عليها، فهو لا يعلم هل هي تشعر به أم لا يشغلها وجوده بالأساس، ولكنه عزم على أن يحسم أمره ويذهب ليتحدث إليها، فاقترب منها قائلاً بصوتٍ هادئ وحنون:

- صباح الخير، آسف لم أقصد إزعاجك

تنبهت ياسمين على الصوت المفاجئ وأجابت:

- صباح الخير .. أظن أننا تقابلنا من قبل.

أجابها مسرعا: نعم تقابلنا على الشاطئ وفى المكتبة

اسمحي لي أن أعرفك بنفسي ..أنا نورالدين أعمل مهندس ديكور في الخارج.

ابتسمت ياسمين ابتسامة رقيقة وقالت:

- أهلا بك، وأنا ياسمين من القاهرة أعمل محررة فى دار نشر.

نورالدين: أرجو ألا أكون مُتطفلا إذا تحدثتُ إليكِ قليلا .

ياسمين: تفضل لا عليك، لقد تعودت التحدث مع الآخر ين والتعامل معهم من خلال العمل وخارجه أيضاً.

جلس نورالدين على مقعد بجوارها ناظراً تجاه البحر قائلا: في الحقيقة أنا أحب أن آتي إلى هنا لهدوء المكان وجماله أيضا، وقد رأيتُك أكثر من مرة، وهناك أكثر من شيءٍ يجذبني للتعرف عليكِ، أولها أنكِ تُحبين القراءة.

ياسمين: في الحقيقة عملي كمحررة في دار نشر جعلني أحب الأدب وأهتم به أكثر، سواء كان شعرا أو قصة أو مقالا، القراءة بالنسبة لي شئ ممتع.

نور الدين: أعتقد أن الشعر يعيد للنفس توازنها وسلامها الداخلي وهذا يوقظ الشعور بالجمال، وإذا استيقظ الجمال داخل النفس، يرى الإنسان الحياة كلها جميلة مثلما أراها أنا الآن، فأنا أكتب أحيانا وأحب الشعر.

نظرت إليه مُبتسمة وشعرت بالخجل ولم تستطع أن تقول شيئا.

كان مضطرباً يريد أن يعرف عنها كل شئ ولكنه كان حريصاً ألا يُظهر ذلك، سعيداً لا يصدق أنه جالس يتحدث معها .. تَحَدثَ معها عن الكتاب الذي كانت تقرأه وتناقشا في أسلوب الكاتب وموضوع الكتاب .. جذبها حديثه في الأدب والقراءة وشعرت بالفعل أنه يتفق مع رأيها كثيراً، ونسيت الخجل وراحت تحدثه عن كتب أخرى للكاتب قرأتها له، وأخيرا شعرت أنها أطالت الحديث معه ولابد أن تذهب فقالت:

- عفواً يجب أن أعود للشاليه الآن

فانتهز الفرصة لمعرفة ما كان يريد أن يعرفه وقال: أعتذر إن كنت قد تسببت في تأخيرك ربما يكون هناك أحد في انتظارك.

قالت دون أن تدرك ما يعني هو: لا .. لا أحد ينتظرني أنا هنا وحدي.

رد قائلا بشغف وعفوية أيضا: ولكني رأيت معكِ أحداً أول أمس.

تعجبت ياسمين وقالت: إنه أخي ولكنه غـادر بالأمس.

شـعر بارتياح واطمئنان بمجرد أ ن سمعها تـقـول أخي، ولكنه شعـر بالحـرج أيضاً فـأراد ألا تُـلاحـظ ذلـك فقال لها:

- أنا أشعـر بالسعادة لأني تعـرفـت على شخصية مُثـقـفة وتحـب الأدب ورومانسية مـثـلـك.

بابتسامة رقيقة نظرت إليه وقالت: أنا أيضاً سعدتُ بـالحـوار معـك.

فاجأها مرة ثانيـة بقـولـه : هـل من الممكـن أن أراك غـداً لنكمل حـديثنا معاً عـن القـراءة والشعـر؟

ردت بارتباك : سأحاول.

ومـشت وهو يتبعها بنظراته، لم يقصد أى منهما اللقاءات التى جمعت بينهما فـي البـدايـة، ولكنه القدر هو من ساق كليهما للآخر .

كان نور الدين يشـعـر بالسعـادة تغـمره، ولا يعـلم لمـاذا يسـيطـر عـليه هـذا الشعـور رغـم أنه لـم يتأكـد بعـد أن يـاسـمين غـير مـتزوجـة، أعـد لنفسـه كـوباً من النسكـافيه وجـلس يُحـدث والـده ويطـمئن عـليه، شـعـر به الوالد من صـوته فسـأله : هـل حـدث جـديـدا لـك ؟

نورالدين: لا .. لا جديد يا أبـي لماذا تسأل ؟

الوالد : أشـعـر بالسـعـادة في صـوتـك

نورالديـن : أنت تقـرأني دون أن تـراني أيها العـجوز الذكـي

وتعـالت الضحكـات وطـلب منه نور الديـن فقـط أن يـدعـو له

أنهـى المكـالمـة وظـل يفكـر في كـل كـلمـة كـانت تقـولها ياسـمين

***

في الوقت نفسه لـم يـغـب عن عـقـل ياسـمين وذكـائها ما قـد يُـلمح إليه نورالدين، فهي جمـيلة وجـذابة وتنـال إعجـاب كـثيرين، ولا تخفى عـليها نظـرات الإعجـاب التي رأتها في عـينيـه .. أخـذ ذلـك حـيزاً من تفكيـرها، ولكـنها لـم تكـن تعـلم عـنه شيئاً سـوى ما كان بـاديـاً أمـامهـا لـذا لـم تجـعل الأمـر يسـتحوذ عـلى تفكـيرها أكـثر من اللازم.

فـي اليـوم التـالي نهـضـت ياسمين ومارسـت نشـاطها اليومي، وقبل الغروب ذهبت إلى لشاطئ كعادتها فوجدته جالساً في انتظارها، ألقـت عـليه التحـية فقـام

لمصافحتها وقد تهلل وجهه بقدومها، ثم جلسا أمام البحر، دقيقة من الصمت، ثم يبدأ نورالدين قائلا : - البحر اليوم هادئ ورائع

ياسمين: بالفعل أكثر من رائع في هدوئِه ولونه، أحب هذا الجو الذي يساعد على هدوء الأعصاب، - نعم، خاصة عندما تكون هناك ضغوط عصبية في العمل نحتاج لهذا الجو من آنٍ لآخر.

- العمل بالنسبة لي لا يسبب ضغطاً عصبياً، وإنما أشعر معه دائماً بمتعة القراءة مع الكتب

- حقاً إنه شيء ممتع أن يعمل الإنسان في المجال الذي يحبه

واستطرد قائلا : ولكن لماذا أنتِ هنا وحدك؟

- أنا هنا وحدى لأن والدتى سافرت لأختى فى الخارج، ورحل عنا والدى منذ عشر سنوات، وأخي أتى لقضاء يوم وغادر لأنه متزوج ولديه أولاد، وأنا لا تقلقني وحدتي، بل أحاول أن أستمتع ببعض الهدوء بعيداً عن صخب المدينة.

- هل أفهم من ذلك أنكِ لستِ متزوجة؟

بخجل وإدراك لمعنى السؤال أجابت ياسمين :

- لـم أتزوج بعـد

- قـد يتعـجب البعـض من أنـكِ لـم تتـزوجي وأنتِ بهـذا الجـمال وهذه الجـاذبية أيضـاً، ولـكـني أدرك تمـاماً أن فـتاةً في مثـل ثـقـافـتك وعـقـلك لابـد وأن تكـون لـها مـواصفات خـاصـة في الإنسـان الذي سـوف تخـتاره شـريكاً لحـياتها .

نظـرت إليـه يـاسـمين باسـتغـراب ولـم تتكـلم، فسـألها

- مـاذا ؟ لمـاذا نظـرة التعـجـب هـذه؟

يـاسـمين : لأنـك أول إنسـان يُـدرك ذلـك دون أسـئلة، حـقيقة أنا اعتدت على هـذا السـؤال من أي صـديق أو زمـيل جـديـد أتعـرف عـليه، ولـكنك وفـرت عـليّ الكـثير لشـرح ذلـك، فأنا بالفـعـل لـن أقـبل الزواج لمجـرد الزواج.

نورالديـن: إذن بما أنني أفهم أفكارك من قبل التعبير عنها، هـل أعـتبر نفـسـي صـديقا لـكِ من الآن؟

ياسمـين (بابتسامة) : بالتأكـيد ..يسـعـدني ذلـك كثيراً.

- لا أريـد أن أرهـقـك بالشـرح، ولـكن أريـد أن أعـرف عـنكِ أكـثر

ياسمين: أنا لا أريد زواجاً للزواج فقط، أنا أعشق الحب للحب، بل الحب بالنسبة لى حياة، وأنا أنثى أتنفس حباً كى أحيا، بداخلى طفلة ترفض أن تنضج، ترفض أن تعترف بمُضيّ السنين، تريد أن تلعب وتقفز، أريده حبيباً قبل أن يكون زوجاً، وعندما يُسمعنى كلمات الحب أشعر أنى نجمة تتلألأ فى السماء، أو طيرٌ محلقٌ، أنا أشعر أنى كتلة من المشاعر تتحرك على الأرض، تؤلمها الكلمة الجارحة حتى الموت، أنا لا أستطيع الحياة بدون حب، أعتبر نفسي كالزهرة وكلمات العشق بالنسبةِ لى هي الماء والهواء، أترانى بعد كل هذا أتزوج لمجرد الزواج؟!!

ضحك نورالدين وقال : بالطبع لا، بل أنتِ تستحقين أكثر من ذلك بكثير لأنكِ بالفعل ملاك، نعم هكذا رأيتك أول مرة وتأكدتُ الآن من هذا.

شعرت ياسمين براحة في الحديث معه وقالت :

- وأنت .. لماذا أنت هنا وحدك؟

فأدرك بفطنته معنى سؤالها، فهي أيضاً تريد أن تطمئن للصديق الجديد، وتعرف عنه الكثير وإن كان لديه ما قد يُقلب الأمور رأساً على عقب،

ولكنه لا يحب الكذب، ولن يكذب عليها .. أجابها وهو خائف من رد فعلها:

- أنا هنا في إجازة قصيرة مع والدي، فليس لديه غيري، ولكني في الحقيقة متزوج ولدي ولد وبنت هما كل حياتى .

شعرت كأن شيئاً يسري في جسدها من المفاجأة، كان زواجه بعيداً عن توقعاتها، فقالت فى هدوء :

- متزوج ولديك أبناء؟ إذن لماذا أنت هنا وحدك؟

نورالدين : لأني تركت أسرتى لانشغال زوجتى بعملها.

لم تهتم من ما قال سوى بأنه متزوج، إذن لماذا يجلس معها ويهتم بأمرها هكذا؟ قد يكون الأمر عادياً فلديها أصدقاء كثيرون - فى عملها – متزوجون، وهى صديقة لزوجاتهم أيضا .. وماذا كانت تنتظر منه؟ قاطعها قائلا :

- هل قلتُ شيئاً أزعجكِ ؟

- لا .. لم يُزعجني شئ، فقط لم أكن أتوقع أنك متزوج.

نورالدين: هل تغير في الأمر شئ؟ أعني هل يمنع زواجي من أن نصبح أصدقاء؟

- بالطبع لا .. أنا لدي أصدقاء كثيرون متزوجون

أراد نورالدين أن يُغير الحديث عن زواجه فقال مازحاً:

- ولكنك لم تُخبريني بعد، ألم يصادفكِ يوماً شخص لديه ولو بعض الصفات التي تبحثين عنها؟

تقبلت فكرة تغيير الموضوع حتى لا يشعر أنها تهتم بأمر زواجه، أجابت وكأنها شعرت باليأس من أن يكون هو هذا الإنسان:

- أبحث عن إنسان ليس عادياً، وأعتقد أنه من الصعب إيجاده على كوكب الأرض.

ضحك نور الدين وقال: هناك الكثير ولكنك لم تلتقِ بأحدهم بعد!

ياسمين : بالفعل قابلتُ الكثير ولكن لم أشعر بأن أحداً منهم يفهمنى، وإذا قابلتُ من يفهمني قد لا تكون ظروف حياته مناسبة لحالتي.

كانت تنظر إليه وهي تتحدث كأنها تُريده أن يفهم بأنه هو من تعنيه بتلك الكلمات، ولكنه بدا متجاهلاً للمعنى.

استمرا فى الحديث طويلاً وانتقلا من موضوعٍ لآخر، تحدثا ودار النقاش بينهما فى مواضيع كثيرة، وكانت ياسمين طوال الوقت تُلاحظ جيداً أن بينهما صفات واهتمامات مشتركة كثيرة، ولكنها لم تكن سعيدة.

-٤-

النـدم

عـاد أحـمـد مـن عـملِه مُـرهقـاً، وضـع اللاب تـوب الخـاص بـه عـلـى المـقعـد وجـلس يسـتريح قـليلاً، كـانت نهـال تعِد الطعـام في المطـبخ، عـندما سـمعـت صـوت الباب يُفتـح، ولـم تهـتم بـوجـوده، وقـد تعـود منها أحـمد على ذلـك.

نهـض ودخـل غـرفة الأولاد ليطـمئن عـليهم، وجـد زيـاد يجـلس عـلى السـرير يـلعـب ببعـض اللعـب الصـغيرة، فابتسـم أحـمـد قـائلا لـه :

- حـبيـب بـابا، أنت اليـوم أفضـل كـثيراً مـن الأمـس.

فاحـتضنه ابنـه بسـعـادة قائـلاً : أنا أحـبك كثيراً يا أبي وأغضب عندما تتركنا وتذهب لأي مكان.

بأسـى وحـزن يتـحـمله أحـمد يـرد عـليه قـائـلا:

- أنا لا أستطيع أن أترككم أبـداً، فقط أغيب أياماً قليلة وأعود .

كان الابن الصغير نائماً على السرير الآخر، فاستيقظ على صوتِ والده .. هبَّ مُسرعاً نحوه يحتضنه، فظل أحمد يلعب معهما حتى نادت عليه نهال من خارج الغرفة، فترك الأولاد وذهب إليها، وكان وجهها عابساً كعادتها :

- ألم أقل لك من قبل لا تقترب من الأولاد قبل أن تغتسل حتى لا يصابوا بأي شئ!!
- نعم قلتِ كثيراً، ولكن عندما مرض زياد لم أكن معكم، ثم إني لا أعمل في حقل ميكروبات، أنا أتوضأ وأغسل يدي عدة مرات في مكان العمل، ومع ذلك أعتذر عما بدر مني، أنا فقط أردت أن أطمئن على الولد وكنت أظنه نائماً، هل هناك ذنب آخر ارتكبته تريدين عقابي عليه؟

نهال: أنا لا أريد منك أي شئ.

قالتها وهي تُسرع من أمامه كأنها تريد أن تُخفي ما يفهمه من حجج لتُبرر تصرفاتها معه.

تناول أحمد غذاءه مع أولاده و زوجته وذهب إلى حجرة المكتب، التي يعتبرها عالمه الخاص الذي يُفرغ فيه همه وحُزنه .. جلس على مقعدٍ خلف مكتبه، ظل يُحدث نفسه، كم هو يشعر بالندم اليوم

والأمس وكل يوم على ما فعل بنفسه، لماذا لم يثُر على والدته ويغضب ويرفض؟ تتفنن نهال في خلق المشاكل حتى تُسكت صوت الضمير بداخلها، لم يقسُ عليها يوماً من الأيام منذ أن تزوجا، كان يعاملها بحنانٍ وعطفٍ زائد، خاصة وأنها استقبلت ليلة الزفاف بالبكاء، وعندما سألها عن السبب أجابته بأنها تفتقد والديها في هذا اليوم، وكان من الطبيعي أن يصدقها ويزيد من عطفه عليها، لم يكن يعلم - حينئذ - أنها لا تريده وأنها أُجبرت على الزواج منه، كان يعاملها كطفلة، ولكنه كان يُلاحظ أيضا أن العبوس لم يفارق وجهها حتى في لحظات لقائه بها، والتي تُعَد على الأصابع، ورغم ذلك كان يعتبرها أسعد لحظاته معها، وبعد أن أنجبت الولدين، كان يشعر أنها تتهرَّب من هذا اللقاء حتى صار الجماع بينهما شيئاً مكروهاً بالنسبة لها، أما هو فصار لا يجد في لقائه معها أية متعة، بل كان يشعر بالملل والنفور، فانقطعا عن هذا اللقاء منذ سنوات، فوضع أريكة في حجرة مكتبه تصلح سريراً للنوم، وأصبحت حجرة نوم ومكتب في آنٍ واحد، يقضي فيها ساعات طويلة من يومه، بل أحيانا يقضي فيها يوماً كاملاً لايخرج منها

إلا عند قضاء حاجته، الآن هو يسخر من عدم فهمه لكثيرٍ من الأمور التي كانت تحدث منذ اليوم الأول لزواجه، هو الآن يود لو يستطيع أن يُخرجها من حياته ويجد الزوجة الحنون التي تحبه، كم تمنى في أحايين كثيرة، شعر فيها بالتعب، أن يجد يداً حنون وكلمة رقيقة تُشعره بوجوده، تُحرك أوتار قلبه ومشاعره ويسعد معها، ولكنه أضعف من أن يتخذ هذا القرار، والسبب أولاده ومدى تعلقهم بالأم .. أراد أحمد أن يكُفَّ عن التفكير فجلس يشاهد فيلماً من أفلام الأكشن التي يحبها كثيرا؛ لأنها تشغله عما يفكر فيه حتى يهدأ.

***

منتصفُ الليلِ في العاصمةِ الأمريكية نيويورك، كانت عبير شقيقة ياسمين الكبرى تشعر بحركة خارج الغرفة، ألقت نظرة، فوجدت والدتها تبحث عن الأقراص المُهدئة ..

عبير: ماما لماذا أنتِ قلقة ولم تنامي إلى الآن ؟

الأم : أشعر بالقلق على أحمد أو بالأحرى أشعر بالذنب تجاهه، لم أستطع النوم من التفكير

عبير: أمي أنتِ تأخرتِ كثيراً على هذا القلق، أحمد لم يشعر بالسعادة طوال سنوات زواجه السِّت، فهل تذكرتِ اليوم فقط أنه في مشكلة ويعاني؟

الأم في حسرة وندم: ظللتُ طوال هذه الأيام أعيش على أمل أن السعادة سوف تعُم عليهما بوجود الأولاد، لم أكن أعرف أنها جافة الطباع إلى هذا الحد.

عبير: كفاكِ جلداً لذاتِك، أنتِ لم تعلمي عنها الكثير ولم تقصدي من وراء فعلك هذا سوى الخير للجميع، عندما تعودين حاولي معها مرة أخيرة ربما تكون خيراً إن شاء الله.

وطبعت عبير قبلة على جبينها وصحبتها إلى حجرة النوم وتركتها لتنام

***

ترددت ياسمين - في البداية - أن تُكرر لقاءها مع نورالدين، ولكنها أقنعت نفسها بأن تعتبره صديقاً مثل كل أصدقائها المُقربين لها، رغم ما تُخفيه نظراته، هي تراه يتفق معها كثيراً، إنسانٌ مُثقف، تستمتع بالحوار معه إلى حد يصل للانبهار بشخصيته وثقافته .. ضحكا كثيراً معاً كأن كليهما وجد ما ينقصه فى الآخر، قبلت دعوته أكثر من مرة لأماكن لم ترها من قبل، كانت تشعر أنها تكتشف عالماً جديداً معه، كان مرحاً، يبدو دائماً وهو معها كأنه عصفورٌ كان سجيناً وانطلق هارباً من سجنه، وأحيانا كانت تشعر أن فى عينيه بريقاً وسعادة طفل وجد أمه أمامه بعد غياب طويل، كانت تخشى من هذا الشعور وتقلق من المستقبل المجهول، ولكنها كانت تُكذِّب أي شعور يسيطر على قلبها وتستسلم لشعور السعادة الذى يغلب عليها وهي معه، لا تريد أن تعرف سبباً له، ولا تريد أن تبتعد عنه أيضاً، إلى أن جاء يوم كانا يجلسان معاً في مطعم داخل القرية لتناول الغداء، سمع نورالدين نغمة المحمول، كان والده، تحدث إليه بصوتٍ يغلب عليه التعب، بدا على وجه نورالدين القلق على والده، فقرر أن يسافر بعد أن ينتهيا من تناول غدائهما ليطمئن عليه، شعرت ياسمين كم

هو إنسان مرهف الإحساس يحنو على والده، أخذت تطمئنه وتنصحه بألا يتركه وحيداً، انتهى اللقاء بينهما وغادر نورالدين على أن يعود بعد الاطمئنان على والده، وعادت ياسمين للشاليه تشعر بشئٍ غريبٍ بداخلها، كانت غير قادرة على تحديد هذا الإحساس، شعور يشبه شعورها في المطار يوم أن سافرت والدتها، كانت تجلس حائرة، حاولت أن تقرأ ولكنها وجدت نفسها لا تفهم كلمة مما تقرأ ولا تقلب الصفحة، فجلست تشاهد التلفاز .

يمضي الوقت ببطء، قبل منتصف الليل تحدث إليها نورالدين على الهاتف، تهلل وجهُها عندما رأت الرقم، أجابت، اطمأن عليها وطمأنها على وصوله وسلامة والده .. وأنهى المكالمة .

اطمأن أن ما يبدو على والده ليس إلا إرهاق رجلٍ مُسن يحب الحركة والنشاط وينسى أحيانا أن يهتم بطعامه ومواعيد دوائه، لام الأب نفسه لأنه جعل ابنه يقلق عليه دون قصدٍ منه، إلى حدٍ جعله يقطع طريق السفر ليلاً، خاصة أنه يعلم أن نورالدين شديد الخوف عليه، ولولا عِلمه أن والده رجل نشيط يحب الحياة ويحب الاستمتاع بها مع

أصدقاء العمر، ما كان يستطيع أن يتركه وحيداً. ذهب الأب والابن للفراش واستسلما للنوم .

***

استيقظت ياسمين مُرهقة بعد نوم مُتقطع وقلق، فقد ظلت طوال الليل تفكر في نورالدين وشعور كليهما تجاه الآخر، قررت أن تذهب إلى الشاطئ، فأخذت أغراضها واستقلت سيارتها، ولكنها وجدت نفسها تجوب القرية بأكملها ذهاباً وإياباً أكثر من مرة، كأنها تبحث عن شئ، فذهبت لشراء بعض الأغراض وفضلت العودة للشاليه .

***

استيقظ والد نورالدين وأعد لولده إفطاراً شهياً وجلسا معاً في شرفة المنزل، التي يهتم بها الأب كثيراً ويملأها بأجمل الزهور والنباتات التي يُحبها، كان كلاهما سعيداً بالآخر.

كان الأب يشعر بابنه يبدو سعيداً، لكنه تغلب عليه الحَيرة أيضاً فأراد أن يعرف سبب حيرته، فقال له:

- أراكَ حائراً بين أمرين ولا أعلم إن صَدق إحساسي بك أم لا ؟

نورالدين بهدوئه المعتاد : بماذا تشعر يا أبي ؟

- أشعر أن هناك شيئاً يجعلكَ سعيداً ويُغير نظرة الحزن التي كانت تغلب عليك في السنوات الماضية، ولكن وسط هذا الشعور أرى أيضاً نظرات حيرة تحاول أن تأخذ سعادتك وأنت تحاول أن تتجاهلها، فهل صدق شعوري ؟

نورالدين مُبتسماً وعينه يملأها الحب لوالده :

- وكيف لا يصْدُق وأنت كثيراً ما تفهمني أكثر مما أفهم أنا نفسي؟!

- إذن .. هـي حـالة حـب

عـلا صـوت ضحكـة نورالديـن وقـال لوالـده: أصـبحـت تفـهمـني بشـكـل مُـخـيف.

الأب: أنـت ابـني الـوحـيد كـنت ومازلـت أكـبر وأهـم شـئ في حـياتي، أنا أقـرؤكَ وأحـفـظ كـل حـروفـك.

نورالديـن: أبي أنـت رجـل فـنان و رومـانسي، لـماذا لا تفـكـر فـي الزواج مـرة ثـانية ؟

الأب : الرغـبة في الشـئ تأتـي بقـدر احـتياجنا إلـيه، وأنا لـم أحـتج للزواج بقـدر رغـبتي واحـتياجي للحـب، وعـندما أحـببت حـباً صـادقاً كـانت هـي بالفـعل زوجـة وأم، لـذلـك لـم أفـكـر أن أصـارحـها حـتى لا أهـدم حـياتها، بالرغـم من أني أشـعـر أنهـا تُبادلني الشـعـور الصـامـت نفـسه.

تعـجـب نورالـديـن من كـلام والـده وقـال له: طـوال حـيـاتي أراكَ قـوياً وأشـعـر بقـوتك حـتى أثـناء ابتعادنا عـن بعضـنا البعض، ولـكـني للمـرة الأولـى أشـفـق على حـالِك، كـيف تسـتطـيع أن تصـبر عـلى الشـوق والبعـد؟ كـيف تسـتطيع أن تُسيطـر عـلى هـذه المشـاعـر؟!

الأب: لأنه حب صادق، فقط يكفيني أن أراها وأعلم أنها بخير.

نورالدين: كم أنت رجل عظيم! ولكن قد يكون هذا هو الفرق بين جيلنا وجيلكم يا أبي

الأب : ماهو؟

نورالدين: أن تكون لديك القدرة على أن تحب، وتصبر على حرمانك من الحب وتتعذب بمشاعر الشوق، أما نحن لا نستطيع أن نتعذب بالحرمان من الحب، عندما نحب نفقد السيطرة على مشاعرنا.

ابتسم الأب قائلا: ولكنك أيضاً لن تستطيع أن تُخفي عني سبب سعادتك هذه.

نورالدين: نعم يا أبي أنا أيضاً أشعر أني أحب، وجدت أخيراً الإنسانة التى كنتُ أتمناها طوال حياتي.

روى نورالدين لوالده كيف التقى ياسمين وتعرف عليها، وكم هي رقيقة ومُثقفة وجميلة، وكم أنه يشعر بحبه لها، ولكن - بالطبع - وضعه كرجلٍ مُتزوج ولديه أبناء يجعله في حيرة من أمره تجعله أحيانا يُكذّب شعوره نحوها.

الـوالـد: وهـي هـل تشـعـر بـك ؟

نورالديـن : أشـعـر أنها تهـتم بي كما أهـتم بها ولكـني لسـتُ متأكـداً من شعـورها بي، وكـنتُ عـلى وشـك أن أصـارحها قبل أن آتي إليـك .

الـوالـد: إذا أردتَ رأيي لا تصـارحها بحُـبك حـتى تتأكـد من صدق مـشاعـرك، والأهـم من قـدرتـك عـلى مـواجـهة المـوقف.

تفاجـأ نورالـديـن بكـلام والـده وقـال : مـاذا تَقصد؟

الـوالـد: قـد تكـون أحـببتَها بالفـعـل، ولـكـن هـل نسـيتَ أنـك مُتزوج ولـديـك أطفـال؟ أنا أعـلم جـيداً ما عـانيت منه مع زوجـتك ولطـالما كـنت أشـفـق عـليك لأنـك لا تستمتع بالحـياة كـما يجـب عـلى من هـم في مـثل عـمـرك، ولـم أر فـي عـينيك سـعـادة مـنذ تـزوجـت كـما رأيـتها اليـوم، بالإضـافـة إلى أنـي كـنت أعـلم جـيداً أن هـذا اليـوم سـيأتي عـاجـلاً أم آجـلاً، لأنـك تحـيا حـياة تخـتلف تمامـاً عـن شـخصيتك وروحـك، وكـنتُ عـلى يقـين بأنـك سـوف تتمـرد عـليها فـي يـومٍ من الأيـام، لـذلـك لـم يكـن الأمـر بالنسـبة لـي مفـاجـأة، ولـكن يـجـب أن تعـلم جـيداً ما يجـب أن يحـدث بعـد مصـارحـة ياسـمين بحـبك، وهـل تسـتطيع المـواجهة

والتصدي للأمر أم لا؟ الأمر ليس سهلاً كما تتصور يا نورالدين، فكر في الأمر جيداً، وقبل أن تُقبل على اتخاذ القرار يجب أن تكون على قدر المسئولية يا بني، وتذكر جيداً أنه ليس من الخطأ أن تحيا سعيداً ولكن عليك أن تحافظ على سعادة الآخرين أيضاً، أو على الأقل دون أن تظلم أحداً، أرجو أن تعي كلامي جيداً يا ولدي .

نورالدين: نعم يا أبي أفهمك جيداً وأعدُك ألا أتسرع في الأمر .

***

-٥-

نعم أحبك

مضى يومان وياسمين تنتظر مُكالمة من نورالدين أو أن يأتي للساحل مرة ثانية، ولكن لم يحدث، كان الوقت يمضى ببطءٍ شديد، كانت ياسمين تفكر في نورالدين طوال الوقت، وتأكدت من الشعور الذي كان يسيطر عليها وتحاول أن تُنكره على نفسها، ولكنها الآن لا تستطيع إنكاره، نعم، في غيابه تأكدت أنها تعلقت به وتحبه لأنه يشبهها كثيراً، ليس ذلك فقط، ولكن لأنها تأكدت أنه هو الإنسان الذي تبحث عنه، نعم هو كل ما تمنته، هو مُهذب، حنون، رومانسي، طيب القلب، كريم في عطائه، مرح، جرئ .. كل ما تحب فتاة في رجل بالفعل في شخصية نورالدين، ولكن لماذا لم يتصل إلى الآن ؟ هل حدث شئ؟ هل يجب أن أتصل أنا لأطمئن عليه؟ لا .. ليس من اللائق أن أتصل، أنا لم أفعلها من قبل فقد يكون ذهب بلا عودة.

وانفعلت قائلة: "ماهذا الذي يحدث لي؟ كنت أعيش في راحة وهدوء ولا أفكر بمن جاء أو ذهب، لماذا ظهر نورالدين في حياتي؟ ولماذا ذهب؟ لابد أن

أهدأ وأكف عن التفكير به، نعم يجب أن أقاوم شعوري به".

هكذا كانت ياسمين تُحدث نفسها .

***

كان نورالدين يقضي معظم الوقت وحيداً يفكر في الأمر بهدوء كما نصحه والده، كان مُتعمداً ألا يتصل بياسمين حتى يحسم أمره؛ كي لا تتعلق به أكثر دون أن يتأكد من شعوره ويتخذ قراره .

في الصباح، استيقظت ياسمين غير متحمسة لعمل شئ، جلست في الشرفة تقرأ وترتشف مرار حيرتها من فنجان قهوتها، تشرد بذاكرتها وهي تنظر للبحر، ثم تعود لما تقرأ تحاول أن تتجاهل حيرتها، رن جرس الهاتف، أجابت:

- صباح الخير ولاء كيف حالك ؟

ولاء: بخير حبيبتي، ماذا بكِ صوتك يبدو مُتعبا؟

ياسمين : نعم لم أنم جيداً لا تشغلي بالك

ولاء: كيف لا أشغل بالي، في المرة السابقة كنتِ أفضل حالاً، ماذا بك؟

ياسمين: لا شئ .. مللتُ وحدتي وأفكر في العودة.

ولاء : حبيبتي افعلي أي شئ غير أنكِ تظلين في هذه الحالة.

ياسمين : سأفعل وسأتصل بكِ عندما أعود .

أغلقت ياسمين الهاتف وهي تفكر في ولاء، صديقتها التي تحمل همها دائماً وتهتم بها، وهي من تحتاج لمن يهتم بها ويسأل عنها، وخاصة بعد المأساة التي حلت بها، والحادث الذي تسبب في حرمانها من والديها وحرمانها أيضاً من الإنجاب بعد العديد من العمليات الجراحية التي خضعت لها، كم كانت تحب والديها ومتعلقة بهما كطفلة! كانت مُدللة تعودت ألا تفارقهما إلا للضرورة .. ولم لا وهي طفلتهما الوحيدة؟ مسكينة ولاء، كان حادثاً أليماً حينما انقلبت بهم السيارة أثناء رحلتهم لمصيف مارينا وهي ابنة العشرين ربيعا، مرات كثيرة أظل أفكر كم كان الأمر صعبا، أن تظل لمدة عام في المستشفى نصفه شبه غائبة عن الوعي، عام بأكمله ذهب هباء وهي راقدة على الفراش إلى أن شُفيت وخرجت تدريجيا للحياة مرة ثانية، تحاول أن تتعامل مع وحدتها بأن تساعد الآخرين في مشاكلهم، مما جعلها محبوبة من الجميع، كما

أنهم أيضا متعاطفون مع حالتها، ورغم ذلك هي دائماً من تبدأ بالسؤال عني والاهتمام بي، كم أشعر بالذنب لأني أقصر في الاهتمام بها! كان يجب ألا آتي إلى هنا بدونها، ولكن قد تكون ظروف العمل هي السبب، سوف أتصل بها بمجرد أن أعود لنقضي معاً وقتاً طويلاً .

***

في اليوم الثالث استيقظ نورالدين سعيداً، أعد الإفطار وأيقظ والده بقبلة على جبينه ويده، فابتسم الأب وقال : صباحك مُشرق.

نورالدين : صباح الخير يا أجمل أب في الدنيا

الأب ضاحكاً : أراك سعيداً وكأنك اتخذت قرارك

نورالدين: نعم يا أبي هيا بنا نفطر وسأخبرك قراري .. هيا

تناولا معاً إفطارهما، وأخبره نورالدين بأنه يندم أشد الندم على زواجه من مروة وإهدار كل هذه السنوات الطويلة معها دون فائدة في تغييرها، وأنه بالفعل تأكد انه وجد كل ما كان يتمنى في ياسمين، وأنه الحب الصادق الذي لا يأتي مرتين ولا يجب

أن يُضيع هذا الحب منه مهما واجه من تحديات، وأنه قرر أن يعود للساحل حتى يصارح ياسمين بحبه، وطلب من والده أن يسافر معه حتى يتعرف عليها أيضا.

ربت والده على كتفيه، وظل يدعو له بالسعادة، ووافقه على الذهاب معه على أن يعود بعد يومين لحياته وأصدقائه.

***

كانت ياسمين تفكر بالفعل أن تجمع أغراضها وتعود للقاهرة، وهي تعلم جيداً أنها إذا غادرت الساحل قد لا ترى نورالدين مرة ثانية، فهي لا تعرف عنه شيئاً يدُلها عليه سوى رقم هاتفه، وهي لا تريد أن تتصل به مهما كانت مضطرة لذلك، وبينما هي تُحدث نفسها رن الهاتف، ولم تصدق نفسها حين نظرت إلى الشاشة ووجدت رقم نورالدين، تهلل وجهها فرحاً وتسارعت نبضات قلبها وهي ترد على الهاتف :

- ألو

نورالدين : صباح الخير ياسمين كيف حالك؟

ياسمين : بخير، وأنت كيف حالك ؟

- آسف لأني تأخرت عليك في اتصالي، ولكن أنا الآن في طريقي إليكِ، فقط سوف أستريح قليلاً أنا ووالدي ثم نذهب إلى الشاطئ، فهل من الممكن أن أراكِ هناك اليوم ؟

تسمع صوت نبضاتها وهي تقول له: "طبعا ممكن"

- سأكون في انتظارك

أنهت ياسمين المكالمة وهي لا تعلم ماذا حدث لها، تبدل حالها، ولكنها سرعان ما تنبهت إلى أن والده معه، فهل سيأتي معه أم ماذا؟

لم تفكر في أمر والده كثيراً، كانت تغمرها الفرحة بعودته ثانياً، غيرت ملابسها وخرجت من الشاليه قبل الموعد المُحدد بقليل، كانت ترتجف رغم أنها لم تكن المرة الأولى ولكنها مختلفة، هي اليوم تذهب للقاء حبيب يملأ حياتها سعادة وليس فقط صديقاً.

وصلت ياسمين الشاطئ وجلست في المكان المعتاد، وبعد دقائق قليلة، وجدته أمامها، كانت

ابتسامة كليهما تملأ وجهه، صافحها وجلس بجوارها .. بادرها بالحديث قائلا : كيف حالك ؟

ياسمين : أنا بخير، هل والدك بخير؟

نورالدين : نعم وأتى معي، لكنه أراد أن يستريح بعد السفر، هو يريد أن يتعرف عليكِ وسيأتي معي غدا.

ياسمين : ماذا قلت له عني؟

نورالدين : لم أقل غير الحقيقة.

ياسمين : أي حقيقة؟

نورالدين : قلت له أني أحبك، وأني أخيراً وجدت الملاك الذي كنت أبحث عنه، هي التي تشبهني وأجد معها سعادتي.

كسا الاحمرار وجه ياسمين من شدة الخجل والمفاجأة، لم تكن تتوقع أن يصارحها بحبه بهذه السرعة، لكن من الواضح أنه جرئ وجاد في شعوره، ولكن وجهها تجهم فجأة وقالت:

- ولكن كيف يا نورالدين وأنت مُتزوج ولديك أطفال؟

نورالدين : رغم أننا تقابلنا أكثر من مرة إلا أنني لم أحدثك عن زوجتي من قبل، لكن آن الأوان أن تعرفي عني تفاصيل كثيرة أهمها طبيعة العلاقة بيني وبين مروة، فالعلاقة بيننا متجمدة منذ فترة، هي شخصية قاسية لأسبابٍ كثيرة عانت منها في طفولتها، وأنا رحلت والدتي في الخامسة عشرة من عمري، وكنت شديد التعلق بها، عوضني والدي بعضاً من حنانها لأني ولدهما الوحيد، ولكن كنت أشعر أنه يحتاج لحبي واهتمامي به أيضا، لذلك ظللتُ أحلم بالزوجة التي تغمرني بحنانها وحبها، وأُسمعها أشعاري التي أكتبها من أجلها، وعندما رأيتُ مروة أول مرة، جذبتني النظرة البريئة وظننتُ أنها هي من أبحث عنها، وخاصة بعد أن علمت ظروف حياتها، ظننتُ أن كلينا وجد من يعوضه ويغرقه بالحب والحنان، فحاولت أن أغمرها بعطفي وحناني، ولكن بعد أشهر قليلة تأكدت أنها ليست الزوجة التى كنت أتمناها، حاولتُ معها كثيراً لتتفهم مشاعري وتبادلني نفس المشاعر، ولكني اكتشفت أنها تعتقد بأن الحب ضعف وإهانة وترفض تماماً أن يقترب منها، فهل يجب علينا أن نعاقب أنفسنا بأن ندفع ثمن اختيارنا

الخاطئ عذاباً وحرماناً مدى الحياة؟ لماذا نعاقب أنفسنا بالجحيم ونحن نستطيع أن نعيش سعداء باختيار جديد؟

أجابته ياسمين وهي تُشفق على حاله قائلة:

- ولكن ما ذنب الأولاد في سوء الاختيار؟

نورالدين : فكرتُ كثيراً في هذا السؤال ووجدت أن الأفضل لهم أن يشعروا بالحب ونحن منفصلون على أن يكونوا معنا ويشعرون بالكراهية تملأ حياتهم بسبب كثرة الخلافات، كل اهتمامها في الحياة أن تأخذ ولا تُعطي حتى مع أطفالها، كأنها تنتقم منهم بدلاً من أن تعوضهم عما افتقدت هي.

ياسمين : فاقد الشئ لا يُعطيه

نورالدين : ليس مع كل الشخصيات ياسمين، هناك الكثيرون ممن يفتقدون الشئ ويحاولون إعطاءه بسخاء لمجرد أنهم ذاقوا ألم الحرمان منه ولأنهم أسوياء أيضاً .

ياسمين : ولماذا لم تحاول أن تساعدها بمساعدة أخصائي نفسي ؟

- حاولت أن أقنعها باستشارة طبيب، ثارت وقاطعتني شهوراً طويلة، ولم تقبل اعتذاري حتى وعدتها ألا أكرر هذا الكلام مرة أخرى، فاستسلمت ورضيت بجحيم الحياة معها من أجل أبنائنا، ولكن منذ رأيتك شعرت أنكِ أنا، نفكر بالمنطق نفسه، نحب الأشياء نفسها، حتى الكتب التي كنا نشتريها من المكتبة كانت نفسها، كأننا شخص واحد، أحببتك، ولم أتصل بك عندما ذهبت لوالدي لأني كنت أحاول أن أتأكد من شعوري هذا نحوك، و الآن أريد أن أتأكد من شعورك أنتِ أيضا.

قالت بهدوء: ولكن الأمر لن يكون سهلاً أبداً، على الأقل بالنسبة لعائلتي .

نورالدين : أعلم ذلك تماما وأنا على استعداد له، ياسمين أنا أحبك وحاولت أن أقاوم طوال الفترة الماضية، بل أكثر من مرة أحمل حقيبتى وأخرج لأهرب من حبك ولكنى لم أستطع، كنت أضعف من أن أهرب من حبك، هذا الحب الذى اقتحم قلبى، أنا أعشق ابتسامتك التى تُشعرنى بالأمل فى الحياة، عندما رأيتك لأول مرة وقفت أمامك أتأملك دون أن تدري، ولا أعلم لماذا، ولكنه حدث دون إرادتى وكأن شيئاً يجذبني

نحوك، فى كل يومٍ يمضـي أشعـر أنـي أرتبـط بكِ أكثر، أنا أحبك جدا ولا أستطيـع أن أنكرهـا مهمـا حـاولـت، و الآن حان دورك كي أعرف شعورك نحوي دون خجل. كانت ياسمين تشعر بجسدها يرتجف، تمنت لو تلقي بنفسها بين أضلعه، ولكنها تمالكت نفسها ونظرت فى عينيه كأنها تحاول أن تستمد قوتها منه وقالت له بصـوت متقطـع :

- نور الدين، أنت متزوج كيف لنا أن نهنأ بهذا الحب فى وضعك هذا ؟ هل فكرت كيف سنكمل حياتنا ولديك حياة أخرى فى الخارج مع أبنائك وزوجتك؟ وكيف لى أن أحيا أنا بدونك هنا بعد أن شعرت بحُبك وتعلقت بك؟ (وقفت ياسمين وبدأت تشعر بالتوتر) وقالت:

- الوضع يبدو معقداً حـقاً ونحن ننجـرف أحياناً وراء مشاعرنا دون أن نفكر فى العواقب التى سوف تأتى فيما بعد .

أمسك نورالدين بيديها كأنه يحاول أن يطمئنها وقال :

- ياسمين أنتِ إنسانة مرهفة الإحساس، نقية، لا تقلقِي من شئ، أعلم جيداً أن الأمر ليس سهلا ولكن دعينا نتمهل فى التفكير، نحن تقابلنا دون ترتيب مُسبق أو ميعاد، بل هو صنع القدر ولعل أقدارنا تحمل لنا ما

يسعد قلوبنا، أنتِ ظللتِ تنتظرين طويلاً شخصاً يفهمك ويحبكِ حبًا صادقاً، وأنا تحملت الكثير من زوجتى وعانيت الكثير من أنانيتها وجفائها، كان لابد أن نلتقى ليكمل كل منا الآخر ويفهمه ويعطيه الدافع القوى لحب الحياة وتحمُّل مشاكلها بقوة، تأكدي أنني لن أظلمها، ولن أظلم أولادي أيضا، سوف أصارحها برغبتي في الزواج منكِ وسأترك لها حرية الاختيار.

نظرت له ياسمين وقالت : وماذا بعد ؟

نورالدين : لا أعلم الآن، ولكن ما أعلمه أنى لا أستطيع أن أتركك بعد أن وجدتك وأريد أن أعرف رأيك.

كانت ياسمين ترتجف، فهي تدرك مدى صعوبة الأمر، مزيج من المشاعر تنتابها في آن واحد، لم تستطع أن تنطق بكلمة الحب، ولكن عينيها تنطقان بكل الحب الذي يملأ قلبها، صَحِب نورالدين ياسمين للشاليه واتفقا على لقاءٍ فى اليوم التالى، وكان كل منهما ينظر للآخر، وبريق عينيهما يعبر عن الحب الصادق الذى ملأ قلبيهما والسعادة التى تغمرهما .

-٦-

القرار

تركها نورالدين وعاد إلى الشاليه الخاص به، وظل يفكر فى ياسمين طوال الليل، لم يهدأ باله، كان قلقاً على مستقبله معها ويحاول أن يجد حلاً لبقائه معها للأبد.

كان والده مُستيقظاً يشعر به وبالقلق الذي يساوره، ويشفق عليه من العاصفة التي يُقبل عليها، ذهب إلى غرفته فوجده جالساً على فراشِه شارداً .. اقترب منه وبصوت حنون قال له:

- أعلم أنك قلق من المستقبل، وأعلم أن الأمر صعب وأنك عانيت الكثير من زوجتك وتحملت الكثير منها على أمل أن تتغير، ولكن دون جدوى، وحتى تشعر براحة ضميرك يجب أن تصارح مروة وتترك لها حرية الاختيار.

أسرع نورالدين مطمئناً والده: هذا ما سأفعله عندما تنتهي الإجازة وأعود، وهناك شئ آخر يا أبي لابد أن أفعله

الأب : ماهو؟

نورالدين : فكرت كثيراً في أن أعود إلى الحياة هنا قريباً منك بشكل نهائي، لقد سئمت الغربة ومالقيت من فراقنا، أعتقد أنه قد آن الأوان أن نظل معاً في بلد واحد يا أبي.

الأب: افعل ما تراه خيراً لك ولحياتك الجديدة يا ولدي

***

استيقظت ياسمين فى الصباح كعادتها، تناولت إفطارها وجلست تقرأ فى بعض الكتب، تنبهت إلى صوت نغمة الرسائل على الهاتف، فتحت الرسالة فوجدتها من نورالدين .. كلماتها تقول :

"صباح الخير حبيبتى، دعينا ننطلق إلى عالم من الخيال، عالم يكون فراقنا فيه من المُحال.

نورالدين"

كانت تقرأ الرسالة والابتسامة تملأ وجهها إشراقاً وسعادة، أعادت قراءتها مراتٍ ومرات، ثم قامت مُسرعة تختار من بين ملابسها الأجمل لترتديه، اليوم تريد أن تكون أجمل لأنها اليوم تشعر أنها أسعد حالاً عن ذى قبل، انتهت ياسمين من ارتداء ملابسها

ووضعت كثيراً من أشيائها الصغيرة داخل حقيبة يدها، ثم خرجت مسرعة إلى سيارتها لتنطلق بها، دقائق قليلة وكانت أمام الشاطئ، أوقفت السيارة وأخذت حقيبتها، وانطلقت بسعادة داخل الشاطئ لتجد نورالدين فى انتظارها، تقدم نحوها واستقبلها بنظراتٍ مليئة بالحب والأمل .. جلسا معاً ينظران للبحر ولونه الرائع الساحر، ويتحدثان عن جمال الطبيعة الساحرة .. كانا يشعران بالسعادة.

أمسك نورالدين بيدها وقاما معاً للتمشية على الشاطئ وهما يضحكان كلما لاحقهما الموج، كانا يمرحان ويحاولان نسيان الواقع المرير، فقط حاول كل منهما أن يعيش اللحظة، وأن يختلس لحظات السعادة من واقعٍ فرض نفسه على كليهما دون أن يستطيع تغييره .. وقبل انتهاء اللقاء، أتى والد نورالدين للشاطئ للتعرف على ياسمين، وكانت تشعر بخجلٍ شديدٍ في البداية، زال تدريجياً بالحوار مع الأب في الكثير من المواضيع العامة، ولم يحاول الأب أن يتحدث في موضوع زواجهما حتى يشعرهما بأن هذا الأمر لا يخُص غيرهما.

مضى اليوم سعيداً، وغادروا الشاطئ جميعاً، أبدى الأب إعجابه بشخصية ياسمين واطمئنانه وقد بعث ذلك الراحة في نفس نورالدين.

فى اليوم التالى استيقظت ياسمين على رنين الهاتف، كانت مكالمة من والدتها تخبرها بأنها ستصل بعد غد ويجب أن تكون فى انتظارها، وهذا يعنى أنها يجب أن تستعد لمغادرة الساحل والعودة للقاهرة لاستقبال والدتها، بقدر اشتياق ياسمين لوالدتها كانت حزينة لفراق نورالدين .

ظلت ياسمين تفكر فى الأمر، ثم أمسكت بالهاتف وتحدثت مع نورالدين لتخبره بالأمر وهى مضطربة، طمأنها وقال لها: "لا تقلقى حبيبتى سوف أعود معكِ إلى القاهرة لأكون قريباً منكِ"، فانفرجت أساريرها واطمأنت، وبالفعل رتب كلاهما أغراضه وتوجه الجميع إلى القاهرة، واتفقا على أن يظلا على اتصال حتى اللقاء.

***

استقبلت ياسمين والدتها عند عودتها، وكانت سعيدة بها، وبعد وصولهما للمنزل دخلت الأم لغرفة نومها لتستريح قليلا بعد عناء السفر، وذهبت ياسمين ترتب أغراضها، بعد ساعاتٍ قليلة أعدت فيها ياسمين الطعام، ذهبت لغرفة والدتها فوجدتها مستيقظة على فراشها، تبتسم لها وتقول بصوتٍ حنون: اشتقت إليكِ كثيراً حبيبتى.

فابتسمت ياسمين واحتضنت والدتها، وأخذت تدللها وتتدلل عليها كما تعودت قائلة: اشتقت إلى حِضنك يا أمي كثيراً.

الأم: وأنا أيضاً يا ابنتي اشتقت إليك ولكل شئ هُنا.

ياسمين: وبالتأكيد تشتاقين للأكل المصري يا أمي، وأنا قد أعددتُ لك مالذَّ وطاب، هيا انهضي حبيبتي لنأكل معاً، ثم بعد ذلك نتناول قهوتنا في الشرفة كما تعودنا، كم اشتقت لحديثك معي يا أمي!

كانت الأم تروى لها كيف قضت أيامها مع شقيقتها، وتُحدثها عن حياتها مع أولادها، وكيف أنها تعانى من صعوبة تعليم أولادها وإقناعهم بتعاليم دينهم، وكيفية التزامهم بتقاليدهم الشرقية فى بلاد الغرب، وخاصة أمريكا، ولكنها تتمسك فى النهاية برأيها وإقناعهم بتنفيذ

تعليماتها، لاقتناعها التام بأن هذا هو الصواب، وأن الإنسان إذا أجبرته ظروف حياته على الحياة فى بلادٍ تختلف تقاليدها وأعرافها عن بلاده، لابد أن يتمسك بأخلاقياته وسلوكه الذى اكتسبه وتعلمه فى بلده، وأن يتعلم فقط ما يفيده فى حياته، ويترك ما يتعارض مع تعاليم دينه ومعتقداته ..

كانت ياسمين تستمع لحديث والدتها باهتمام وتناقشها فى بعض الأفكار والمواضيع، وبعد أن انتهت ياسمين من الحديث مع والدتها، وبينما كانت الأم مشغولة فى بعض الأشياء، أمسكت ياسمين بالهاتف فوجدت رسالة من نور الدين، قرأت محتواها:

"حبيبتى، حمداً لله على سلامة والدتك، أتمنى أن تكون بخير، تمنياتى بقضاء وقت سعيد، سأنتظر لقاءكِ بشوق، أحبكِ بجنون.

نورالدين"

قرأت ياسمين الرسالة وأشرق وجهها بابتسامة واضحة أظهرت بريقاً فى عينيها، فبدت ملامحها تنطق بالحب، وقفت فى الشرفة التى تطل على حديقة صغيرة تملؤها الزهور بألوانها الرائعة ونباتات الزينة الخلابة، أخذت

تستنشق الهواء بعمق، ومدت ذراعيها كأنهما جناحا طير، كأنها تريد أن تحلق فى سماء الحب وهى تقول لنفسها بصوتٍ غير مسموع: "أهكذا هو الحب يجعلنا نشعر كأننا نحلق فى الهواء كأننا نمتلك الكون؟ يا له من شعور رائع!! أريد أن يسمعنى كل الكون، أريد أن أعلن عن حبى لنورالدين، أنا أحـب، أنا أحـب، أحبك يا نورالدين، أحبك".

***

فى اليوم التالى استيقظت ياسمين سعيدة، تناولت إفطارها مع والدتها، ثم ذهبت للتسوق، أحضرت بعض احتياجات المنزل، ثم أعـدت الغداء وجلست تتناوله مع والدتها، كانت الأم تنظر لها من حينٍ لآخر كأنها تلاحظ عليها شيئاً جديداً، فقالت:

- ياسمين، أرى على وجهك تعبيراً غريباً لم أره من قبل!

ابتسمت ياسمين وقالت، وهى تحاول أن تخفى عن والدتها شعورها : ألا يكفى يا أمى أنكِ معى حتى أكون سعيدة؟

أجابت الأم بابتسامة مماثلة: وهل يخفى على قلبِ أم ما تشعر به ابنتها؟

ابتسمت ياسمين بخجل وقالت: سوف أخبرك يا أمى فى الوقت المناسب.

كانت الأم تشعر بالسعادة من أجل ابنتها، ولكن كان يساورها بعض القلق من المجهول، فقالت:

- أرجو أن يكون هذا الوقت قريباً حتى يطمئن قلبى.

جلست ياسمين بمفردها تفكر وتسأل نفسها: "هل نسيتُ أنا أن الشخص الذى أحبه له زوجة وأولاد أم أحاول أن أتناسى؟ ولماذا أنا سعيدة إلى هذا الحد وأنا لا أعلم شيئاً عن المستقبل؟ هل حقاً يستطيع نورالدين الزواج من أخرى؟ وماذا سوف يكون وضعي كزوجة ثانية؟ هل سينجح بالفعل هذا الزواج؟ يا الله! ماذا حدث لي حتى أفعل هذا بنفسي؟".

وظلت الأسئلة تطارد ياسمين طوال يومها، وهي تجد إجابة للبعض وبعضها لا تجد له إجابة.

***

يوم آخر من حياة ياسمين، ذهبت للقاء نورالدين وكانت سعيدة بلقائه، واستقبلها هو الآخر بلهفة ثم قال لها :

- يجب أن أسافر لأنهي الأمر مع مروة وأستعد للزواج منكِ، وأعتقد أنه لابد أن تصارحي والدتك بالأمر لحين عودتي إليكِ.

فقالت: كيف أفاتحها في أمرٍ لم نتأكد من حدوثه بعد؟

أخذ نفساً عميقاً كأنه يستعد لشئ خطير وقال:

- أياً كان قرار مروة لقد قررتُ الزواج منكِ، على أية حال نحتاج فقط بعض الوقت لترتيب الأمور.
- وماذا إذا وافقتُ أنا؟ ماذا علي أن أفعل؟

ابتسم نورالدين وأمسك بيدها وقال: لا شئ سوى أن تحاولى إقناع والدتك بالزواج وبعدها دعي الأمر لى، ولكن هناك شيئاً هام، ماذا سيكون رد فعلك إذا اختارت مروة أن تظل زوجة لي؟

أجابت ياسمين بشئ من الخجل والشعور بالذنب:
- وهل تظن أني سوف أعترض وأطلب منك أن تتركها ؟ ألا يكفي أنني شاركتها في قلبك؟!

نورالدين: مروة الآن ومنذ فترة ليست في قلبي بسبب أفعالها، ليس في قلبي سواكِ أنتِ وأولادي وأبي، يجب أن تتأكدي من ذلك.

- أعلم صدق قولك، أنا أحببتك كثيراً، ليس لأني وجدت فيك الصفات التي كنت أبحث عنها، أو لأنك تشبهني في أشياءٍ كثيرة، ولكن لأني شعرت بالصدق في كل كلمة قلتها لي، رأيت في عينيك كم أنت في حاجةٍ للحب والحنان، وأنا أيضاً حبيبي أحتاج لحبك وحنانك.

نظر نورالدين في عينيها وقال مداعباً إياها:

- ماذا .. ماذا قلتِ؟

ضحكت ياسمين وقالت بصوتٍ مرتعش: حبيبي.

فقبّل يدها قائلا: الله .. الله، هل تصدقين أنها المرة الأولى التي أسمع فيها كلمة حبيبى من امرأة غير أمي؟

نظرت إليه بعطف وحنان: سوف تسمعها كثيراً من اليوم.

- أنتِ بالفعل ملاك يا ياسمين.

كانت ياسمين تشعر بالسعادة، لكنها كانت تخاف أيضاً من شيء مجهول، ولِم لا؟ فهذا الزواج غير عادي، إنها

تريد أن تتزوج من رجل متزوج ولديه أبناء، ولكنها تحبه وهو يحبها، وتشعر أنها سوف تجد سعادتها معه، هو فقط الذى سوف تشعر بالسعادة معه، هو من تريده وسوف تواجه رفضاً من الجميع، وقد تواجه غضباً من والدتها، فكيف ستواجه كل هذا وتتغلب عليه؟

-٧-

بداية العاصفة

عادت ياسمين للمنزل وعقلها تدور داخله مئات الأفكار والأسئلة، كيف ستبدأ الحديث مع والدتها؟ وماذا ستفعل إذا رفضت الأم؟

ظلت ياسمين شاردة الذهن والأم تنظر إليها وتلاحظها دون أن تتكلم معها، وبعد أن تناولا وجبة الغداء، جلستا سوياً فى الشرفة كالعادة لتناول القهوة .. كانت ياسمين مضطربة، فحاولت الأم أن تبدأ الحوار:

- ياسمين، أراكِ مضطربة بعض الشئ، هل يقلقكِ شئ لا أعلمه؟

شعرت ياسمين بحشرجة فى صوتها، وصعوبة في الكلام:

- نعم يا أمى أريد أن أتحدث معكِ في أمرٍ هام، وأريدك أن تتفهمى شعورى جيداً.

قاطعتها الأم: لا تقلقى يا ابنتي، لقد كنتُ صديقة لكما طوال حياتكما أنت وشقيقتك قبل أن أكون أماً،

تعودتما معي على الصدق والمناقشة والحوار، خطئي الوحيد الذي لم أستطع أن أغفره لنفسي، هو زواج أحمد من ابنة عمه التي ظننتُها ستسعده وتحافظ على ماله، وما كنتُ أعلم أنني بذلك أظلمه وأحكم عليه بالتعاسة مع نهال.

تحمست ياسمين للحديث وقالت: وما أريد أن أتحدث إليكِ يشبه كثيراً مشكلة أحمد، ولكن الأمر خاص بي يا أمي.

وبدأت تروى لوالدتها ماحدث لها، وكيف بدأت علاقتها بنورالدين، وكيف تحولت العلاقة إلى حب، إلى أن تحول الأمر إلى طلب الزواج من ياسمين .. استمعت الأم لحديث ابنتها وشعرت بمدى القلق والاضطراب الذى يعتريها، فحاولت أن تحتفظ بهدوئها قائلة:

- أنتِ تدركين جيداً ماتقولين؟ هل فقدتِ عقلك يا ياسمين؟!

شعرت ياسمين بسرعة نبضاتها من شدة خوفها، فأسرعت الأم قائلة: إذا أردتِ رأيي بالفعل، فأنا أرفض مجرد الحديث في هذا الموضوع.

ياسمين بصوتٍ مُرتعش: لماذا يا أمي هذه حياتي أنا؟

الأم: ياسمين، أنتِ تعلمين جيداً يا ابنتي أن الأمر صعب والطريق الذى اخترتِه لقلبك ملئ بالأشواك، ولكنكِ تكتفين برائحة الورد وتتغاضين عن أشواكه، وأنا على يقين أنى مهما قلت لكِ إن الصواب أن تبتعدى عن هذا الرجل، لن تقتنعي ولن تبتعدي عنه.

نظرت لها ياسمين بإيماءة تدل على الموافقة، فهزت الأم رأسها مستسلمة للأمر وقالت:

- إذن الأمر يرجع إليكِ، يجب أن تتحملى نتيجة التجربة بكل قسوتها .

فانزعجت ياسمين من كلمة قسوة، وقالت لوالدتها: - ماذا تقصدين من كلمة قسوة؟ أمى، نورالدين ليس إنساناً قاسياً بل على العكس، هو طيب القلب وحنون.

فأجابتها الأم مشفقة عليها :

- أنا لا أعرف نورالدين كى أحكم على شخصيته، ولكنى أعنى قسوة أولاده وزوجته التى ستعانين منها الكثير.

- تنهدت الأم بـألمٍ وقـالت:
- كم كـنت أتمنـى أن يكون هـذا الرجـل غـير متزوج أو لـديه أولاد! كـانت ستغمـرني السعـادة بـزواجك منه، ولـكني أشفق كثيراً عـليكِ يا ابنتي من هذا الزواج وأتمنـى ألا تعانـي الكثير، وليتكِ لا تتسرعي في القبـول، فكـرى في الأمر جـيداً أرجوكِ، هـذا كل ما أستطيع أن أقـوله لـكِ الآن .

أجـابتها ياسمين: أعدكِ يا أمـي أنى سأفكـر ثـانياً وأدرس الأمـر من جميع الجوانب.

وتـركـت الأم ابنتها وهـي تتمنـى أن تـرفض هذا الزواج.

***

مضت أيامٌ قليلة، ونورالدين في انتظار قرار ياسمين، وكما توقعت الأم، كان من الصعب أن ترفض ياسمين حُبَّ رجلٍ وجدت فيه الكثير من الصفات التي تشبهها، نورالدين شخصية قوية، قادر على تحديد هدفه والوصول إليه، لديه القدرة على تحمل المواقف الصعبة، والأهم من ذلك أنها تحبه ويحبها، فكيف تتركه بعد أن وجدته؟!

ظلت ياسمين تفكر في الأمر وتحاول أن تقنع نفسها بالابتعاد عن نورالدين، ولكنها لم تستطع، فاستسلمت للأمر وأعلنت قبولها لهذا الزواج وأخبرت والدتها ونورالدين بالأمر .. فرح نورالدين بقبول ياسمين الزواج منه، وبدأ يرتب للسفر ليخبر زوجته بالأمر، وحدد موعد السفر وودعته ياسمين بين خوفٍ وقلقٍ من المستقبل، وحزنٍ وشوقٍ للحبيب الذى تعودت أن يكون بجانبها كلما شعرت بالاحتياج لوجوده معها، كانت تودعه بنظراتٍ يملؤها الخوف والتمنى، فهي تتمنى أن يعود إليها نورالدين، وتخشى في الوقت نفسه ألا يعود .. ودعها نورالدين بنظرات يملؤها الأمل.

عادت ياسمين إلى منزلها واستقبلتها والدتها بنظرات اليأس والقلق عليها، وتركتها تستريح قليلاً ثم جلسا سوياً فى الشرفة، فوجدتها الأم شاردة فقالت لها: هل تعتقدى أن الأمرَ هين؟

أجابتها ياسمين بتنهيدة متقطعة كأنها تتنفس بصعوبة:

- لا أعتقد بل أعلم جيداً أن الأمر فى غاية الصعوبة.

الأم: أشفق عليكِ من مصيرٍ مجهول ومشاكل لا حصر لها.

ياسمين: أمى، ألا تشفقين علي أيضا من حديثكِ هذا؟! أنا أموت خوفاً من المستقبل، أرجوكِ أمي لا تزيدِي خوفي وهمّي، اتركيني أحيا على أمل .

اعتذرت الأم وتمنت لها مستقبلاً مشرقاً، وتركتها لتجلس مع نفسها وأفكارها دون أن تزعجها، ولكنها لم تستسلم، أجرت اتصالاً هاتفياً لابنتها عبير تروي لها ما حدث، وتطلب منها أن تتدخل لإنقاذ ياسمين من هذا الزواج، وبالفعل استجابت الابنة لرغبتها، في محاولة بائسة مع شقيقتها التي تعلمها جيداً وتعلم أنها لن تغير رأيها إلا إذا اقتنعت به.

***

وصل نورالدين إلى مطـار الريـاض ولم يجـد أحداً في انتظاره، رغم علم زوجته بموعد قدومه، استقل سيارة للمنـزل، وعـندما أدار المفتـاح في البـاب ودخـل الشـقة هلل الأولاد فـرحاً لاستقبال والـدهم وجـرت إليـه ابنته آيـة تحتضنه، وجـرى خـلفها ابـنه وسام الذي ألقى بنفسه في حضن أبيه، أمـا زوجـته مروة فـاستقبلته بابتسامة باردة، وقـد تعـود منهـا نورالدين عـلى هذا الفتـور عـند الـوداع أو الاستـقبال، شخصية مروة عكس شخصية ياسمين تماماً في كل شئ، فهـي تبـدو جامـدة المشاعـر وكـأنهـا لا تهتم بشئ يـحدث غير عـملهـا، رحـلت والدتها أثـناء ولادتها وعـاشـت تتنـقـل فـترة حضانتها بين خـالاتها، وفي الخـامسة من عـمرها تـزوج والدها وعـاشـت معه وأنجـب طـفـلين، كانت لهما الأولوية في أي شـئ في المـنزل وخـارجه، وبالتالـي عـانت كثـيراً من التفـرقـة في المعـاملة بينهما وبينها، ولـم تذُق طـعم الحـب أو الحـنان؛ فنشـأت تُكـن في قـلبها الحقـد والضغينة لمن حـولها، ولكنها حـين رأت نورالدين وإعجـابه بها أدركـت أنها تسـتطيع أن تحـقق أحلامها عـن طـريقه، واسـتطاعـت بالفعـل أن تجعـله يحاول إرضاءها دائماً عـن طريق تقـديم الهـدايا الثمـينة .. التقيا في حفـل زواج أحد أقـاربه ورشحها لـه كـزوجة

جميلة، تكون له سكناً في حياته، جلسا معاً أكثر من مرة، بدت له هادئة، ورغم أنها كانت تغالي في بعض المطالب إلا أن نورالدين كان يعتبر هذا نوعاً من التدلل عليه لأنه حنون وسخيّ بطبيعته، وبعد شهرين من التعارف تزوجا وسافرا معاً حيثما يعمل نورالدين، وبعد فترة قليلة طلبت منه أن يساعدها فى البحث عن عمل، وكالعادة وافقها حتى لا تشعر بالملل، وقد لاحظ نورالدين أنها ازدادت فتوراً وأنانية بعد التحاقها بالعمل، وصار اهتمامها بتملك الأشياء زائداً وملحوظاً، ازدادت الخلافات بينهما بعد أن شعر نورالدين باحتياجه لحبها وشعورها به، ولم تكن هى تهتم إلا بنفسها، أما وسام وآية، أولادهما فكانت تلقي بالحِمل الأكبر في تربيتهما على عاتق نورالدين، حاول الحوار معها للوصول إلى حل للخلافات الدائمة بينهما، لكنها كانت عنيدة لا تعترف بالخطأ، ضاق نورالدين بأفعالها ولكنه لم يفكر يوماً في الانفصال عنها من أجل الأولاد .

ولكنه عاد اليوم وقد اتخذ قراره بأن يصارحها بحبه لياسمين ورغبته في الزواج منها، ولها أن تقرر

إن أرادت أن تستمر زوجة له أو ترفض الاستمرار معه .

ظل نورالدين يداعب الأولاد وهُما فرحين بالهدايا التي أحضرها لهما، ومضت الساعات وهما يلعبان ويتحدثان معه، حتى خلدا للنوم واطمأن عليهما ثم غادر غرفتهما و ذهب للنوم.

استيقظ نورالدين فى صباح اليوم التالى وتناول إفطاره، كان الأولاد قد ذهبا بالفعل لمدرستهما، وذهبت زوجته للعمل .. كان نورالدين يشعر بألمٍ في رأسه نتيجة للأرق الذى صاحبه طوال الليل، حيث ظل يفكر ويسأل نفسه كيف سيخبر زوجته بحبه لامرأة أخرى ورغبته بالزواج منها؟ وماذا سيكون رد فعلها؟ هل سوف تثور عليه أو سيصيبها الجنون؟

أنهى نورالدين إفطاره، وتناول فنجاناً من القهوة، **وارتدى ملابسه، ثم خرج من منزله واستقل سيارته وذهب إلى زوجته حيث المكان الذي تعمل فيه، وانتظرها حتى انتهت من العمل .. لم تكن زيارة نورالدين لزوجته فى العمل هي الأولى، فقد تعودت أن يذهب إليها كلما كان هناك أمراً يحتاج للمناقشة أو اتخاذ قرار في أمرٍ ما،**

فاستقبلته بابتسامة فاترة كالعادة .. دعاها للجلوس في مكان هادئ .. لم تمانع .. وذهبا معا.

****

-٨-

أمل جديد

رن جرس الباب، أسرعت ياسمين تفتح الباب، كانت صديقتها ولاء، رحبت بها واحتضنتها بلهفة قائلة : اشتقتُ إليكِ كثيراً حبيبتي.

تبادلا العناق والقبلات، ثم ذهبا معاً لغرفة ياسمين بعد أن رحبت بها الأم ..

ولاء: ماذا بكِ؟ صوتكِ في الهاتف يوحي لي بأن هناك شيئاً جديداً أتلهف إلى معرفته.

ياسمين: نعم هناك أمر جديد في حياتي، وأحتاج لرأيك.

ولاء بلهفة شديدة: هاتي ما عندك .. أسرعي.

روت لها ياسمين كل شيء من بداية لقائها بنورالدين إلى لحظة تواجدهما معاً.

بدت الدهشة على وجه ولاء بعد سماعها بالأمر وقالت : إذا أردتِ رأيي فهو يتفق مع رأي والدتك، أنا أخشى عليك من هذا الزواج، ألا تخافين من

نظرة المجتمع لكِ، سوف يتهمونكِ بأنكِ سرقتِ هذا الرجل من زوجته.

ياسمين (بقليل من الانفعال): ومتى كان المجتمع مُنصفاً للمرأة سواء كانت زوجة ثانية أو أولى؟ أرملة أومطلقة أو حتى لم تتزوج بعد؟ فليأتِ لي المجتمع بزوج فيه مواصفات نورالدين أكون له زوجة أولى وسوف أبلغ من السعادةِ نهايتها، هل انشغل المجتمع بكم البنات اللاتي لم يتزوجن بعد وظللن مهددات بلقب العانس؟ لو كان المجتمع ينشغل بقضايا المرأة ومدى الظلم الواقع عليها مثلما ينشغل بمن ذهبت ومن جاءت، ما كنا رأينا كم المطلقات هذا! ولاء أنا لم أسرق أحداً، أنا فقط أحببت رجلاً يحتاج إليّ وأحتاج إليه قبل أن أعلم أنه متزوج، ثم إن الأمر المتعارف عليه في هذا المجتمع هو أن الرجل يسئ معاملة الزوجة الأولى إذا تزوج من ثانية، لذلك تقابل الفكرة بالرفض من الجميع، ولكن أنا لن أسمح لنورالدين أن يفعل ذلك إذا بقيت مروة زوجة له.

ولاء : ماذا؟ أتريدينني أن أقتنع أنكِ لن تغاري من هذه المرأة؟

- ولماذا أغار منها وأنا رضيت أن أكون زوجة ثانية بكامل إرادتي، ولم يجبرني أحد وأعلم جيداً أني أنا من أشاركها بعدما كان لها الحق كاملاً فيه؟ أعتقد أني إذا فعلتُ ذلك أكون حقاً شديدة الأنانية ومريضة بحب التملك.

ولاء: ألهذا الحد أحببت هذا الرجل؟

ياسمين : هو من جعلني أحبه إلى هذا الحد لأنه يمتلك من الحنان والصدق ما يجعل أي إنسان يحبه.

ولاء مداعبة صديقتها: إذن احذري إن رأيتُه أن أحبه وأوافق أن أكون زوجة ثالثة.

فتناولت ياسمين وسادة صغيرة وألقتها على ولاء وتعالت ضحكاتهما.

***

بدأ نورالدين حديثه مع مروة عن العمل، ثم توقف دقائق متردداً، ثم أسرع يفاجئ زوجته بسؤالها كأنه يخشى أن تخونه صراحته في إثارة مثل هذا الموضوع المصيري فقال:

- مروة .. هل شعرتِ في يوم من الأيام أنك أحببتِني؟

بفتور مستفز أجابت مروة: لماذا تسألنى هذا السؤال؟ هل جد في حياتنا شئ؟

نورالدين : نعم .. هناك جديد ولكن قبل أن أقوله لكِ، أريد أن أتأكد من شئ آخر .

فأجابت مروة : أنت تعلم جيداً رأيي في الحب، منذ أن تزوجنا تحدثنا في هذا الموضوع أكثر من مرة، وفي كل مرة أقول لك إني لا أؤمن بالحب، الحب ضعف وعذاب ودموع وأنا لا أريد أن أتألم من أجل مشاعر وهمية لا وجود لها.

فازداد ألم نورالدين وقال لها: ألم تشعري بحبي لكِ طوال السنوات الماضية؟ ألم ...؟

فقاطعته مروة في عصبية:

- أنا لم أنكر أنك تعاملني معاملة حسنة، ولكنك أيضاً تعلم رأيي في هذا الذى أسميتموه أنتم الحب، وأنا أسميه الذل والهوان، الزواج حياة مشتركة بين اثنين، كل منهما يُعطي ما يستطيع برغبته وليس بالإكراه، ثم لولا إلحاحك المستمر في الإنجاب ما كنت تحملت مسؤلية أطفال ليس لهم أي ذنب.

لم يستطع نورالدين أن يتحملَ جفاءَ مشاعرها أكثر من ذلك فقاطعها قائلا :

- مارأيك إذا فكرت في الزواج من أخرى تعترف بالحب وتجعلني أشعر بحبها لي دون شعورها بالذل أو الإهانة؟

لم تهتز ولم تندهش، بل التزمت الصمت دقيقة ثم قالت له بمنتهى التكبر: أنا لم ولن يضرني شئ، النسيان عادة وإرادة، ولكن دبر الأمر مع الأولاد وافعل ما تريد.

لم يصدق نورالدين أن الأمر بالنسبة لها بهذه السهولة، وكأنه لا قيمة له عندها، كان يتوقع أن تفعل مثل كثير من الزوجات، تثور، تغضب، تحطم، ولكن الأمر كان أبسط مما توقع، وبقدر ما ازداد حزنه على ما قدم لها من تضحيات ضاعت هباءً، بقدر ما شعر براحةٍ نفسية غريبة كأنه كان يخشى عذاب الضمير .. الآن يستطيع أن يحب ويتزوج بحبيبة قلبه التي ستعوضه عن حرمانه من الحب .. الحب الذي يراه هو الحياة وتراه مروة الاستعباد والضعف، الآن هو راضٍ تماماً عن نفسه، ولم يكن هناك ما يقال، فعادا للمنزل .

كانت تتصارع في رأسه العديد من الأفكار، وفي قلبه مزيج من المشاعر المتناقضة .. يشعر تارة بالسعادة لأنه سوف يتزوج من ياسمين، وتارة أخرى بالضيق والتعجب من شعور زوجته مروة، ويسأل نفسه: "هل هذا ما أستحقه منها بعد كل ما قدمته إليها طوال هذه السنوات؟!"

هو يعلم جيداً أنها عنيدة وأحياناً متكبرة، ولكن إلى هذا الحد هو لا يمثل عندها شيئاً أم أنها كانت من البداية لا تحبه؟!

قال لنفسه: "نعم بالتأكيد هذا هو الأقرب إلى الحقيقة، هي تزوجتني فقط من أجل تحقيق هدفها المادي، كان زواجنا خالياً من أي مشاعر تشعر بها نحوي، كيف تحملتها بهذا الجمود طوال هذه السنوات؟!

جعلتني دائماً أفكر فيما يرضيها، حتى أني نسيت احتياجي للحب كالطفل، نعم .. الرجل كالطفل، قليل من الحب يرضيه، والحرمان من الحب والحنان يؤدي به إلى الشعور بالنقص والاحتياج الدائم لشئ ما، يظل يبحث عنه طوال

حياته حتى يجده، وأنا وجدته عندما وجدت ياسمين.

نعم الحب أمل وحياة، وياسمين بالنسبة لي هي الحياة، كان لابد أن أفعل هذا منذ سنوات مضت،

فكم من العمر يهدره الإنسان في محاولات خاسرة!"

كان لابد أن يحسم نورالدين الأمر مع زوجته حتى لا يشعر تجاهها بأي ظلم، فتحدث معها مرةً ثانية وطلب منها أن تختار بين الأمرين، فكان بينهما هذا الحوار :

- مروة أنا لا أريد أن أظلمك، فإن أحببتِ أن يستمر زواجنا من أجل أطفالنا أعتقد أن هذا القرار لن يسبب الضرر لأي منا، وسيكون هذا كي أستطيع أن أتواجد مع أبنائنا دون أن أسبب لك أي حرج، أما الأمر الآخر فهو أن ننفصل إذا أحببتِ ذلك وأتدبر أمري مع أبنائنا فيما بعد.

فأسرعت مروة بالرد قائلة :

- بالطبع قررت الانفصال، وسوف أقيم مع الأولاد في هذا المنزل، وسوف تترك لنا منزلنا في القاهرة ، وتعطيني نصف مالك الذي ادخرته طوال السنوات

الماضية وأنا معك، وتدبر أمرك أنت كما تحب، وبذلك أكون كريمة معك، إذ أنني لم أطلب مالك كله، وأن تكون زيارة أبنائك بتحديد موعد سابق، أنا لا أحاول الضغط عليك، الأمر لا يعنيني كثيراً ولكن يجب أن تعلم أني أيضاً أود أن أعيش بكامل حريتي لا أريد أي قيود .

فتعجب نورالدين من هدوئها المستفز قائلا :

- كأنك كنت تنتظرين هذه اللحظة أو كنت تتوقعين أني لن أتحمل جفاءك طوال عمري، أنت شخصية غريبة جداً وكأني لم أعرفك من قبل!

واستطرد نورالدين قائلا: وهل تستطيعين تربية الأولاد دون مساعدة أحد؟ أنا لم ولن أتخلى عن أبنائي

أجابته مروة: أخي سيأتي قريباً للعمل هُنا، وقد أعددت له كل شئ للإقامة معي وسيأتي قريبا وإذا مللت تربيتهم سوف أرسلهم للإقامة معك الأمر بسيط جداً، لا يحتاج للجدال.

فنظر إليها قائلاً في نفسه:

"أي نـوع مـن الأمـهـات أنـت؟"

فـقال لها بصوت مسموع: وكيف تشـعرين بالملل من أطـفالك وكـيف تتـنـازلين عـن مـسـؤليتـك عـنهم بهـذه الـسهولـة؟

أجـابـت مـروة : إنهم أبنـاؤك أنـت أيـضـاً فـلماذا يـجـب عليّ أن أتـحـملهـم وحـدي؟

نـظـر لـها نـورالـدين نـظـرة تـعجـب وأغـمض عـينيه، ومـال برأسِـه للـخلف يستـنـد عـلى الـمقـعد وكـأنـه فـي حـالة من الـنـدم عـلى مـا مضـى مـن سـنوات عـمره مـع مـثل هـذه الـزوجـة الـتي لـم يـرها بـهذه الـصورة الـقاسية مـن قـبل، كـأنه يـراهـا لأول مـرة، فأسرع قائلا : إذن سوف أفعل لكِ كل ما طلبتِ بمجرد عودتي لمصر.

وظـل نور الـدين طـوال الـليل يـسـأل نـفسـه: هـل كـانت شـخصـيته ضـعـيفـة مـعـها؟ أم كـان يـحـبها إلـى حـد جـعـله لا يـرى عـيوبَـها وسـوء مـعـاملتها لـه؟ لا هي بالتأكيد لم تجعلني أحبها، قد يكون شعورا بالألفة والود وشيئاً من التعود، ولكنه لم يكن حباً، فالحب هو ما أعيشه الآن مع ياسمين، الشوق، التعلق، الخيال،

الرومانسية، هو شعور مختلف تماماً عما كنت أعيشه مع مروة.

***

استيقظ نورالدين في الصباح، فوجد نفسه على المقعد الذى كان جالساً عليه بالأمس، وممدداً قدميه على مقعد أمامه، فعلم أنه قد غلبه النعاس، بعد أن أرهقه التفكير طوال الليلة الماضية، وأرهقه النوم على المقعد أكثر، فنهض ولم يجد أحداً في المنزل، أعد إفطاره وجلس يتناول الإفطار وأمسك بالهاتف المحمول وطلب رقم ياسمين، فأجابت بصوتها الحنون :

- كاد يقتلني القلق والشوق إليك هل أنت بخير؟

كانت كلمات ياسمين تسرى كالدماء في شراييه، فيبعث في قلبه السعادة والحياة ويمحي التعب والإرهاق ويستبدلهم بالابتسامة والفرح.

أجابها بسعادة: أنا بخير حبيبتي وأنتظر لقاءنا بلهفة وشوق، اطمئني سوف آتي إليك قريباً .

تهللت ياسمين ولم تستطع أن تخفي سعادتها بما قال نورالدين لها وقالت :

- اشتقت إليكَ كثيراً، أردتُ أن أحادثك ولكني خشيت أن أسبب لك إزعاجاً، متى ستأتي؟ هل أنت بخير؟ هل حدث شجار بينكما؟

كانت ياسمين تتحدث بسرعة ولهفة، كانت ترتجف من الانفعالات المختلفة التي تختلط بداخلها، فهي كانت تخشى ألا يعود إليها نورالدين، وتشتاق إليه، وهي سعيدة الآن بما يقوله لها؛ ولهذا كانت في حالة اضطراب وتسيطر عليها المشاعر المختلفة، كانت والدتها تجلس أمامها فأشارت إليها بيدها، أن اهدئي.

كانت الابتسامة تملأ وجهها وهي تتحدث مع نورالدين .. ولمَ لا؟ وهو بالنسبة لها ليس حبيباً فقط، بل هو الملاك الذي ظلت تبحث عنه طويلا، ووجدته في نورالدين، فكيف تتركه وهي أصبحت تحبه بجنون بل وتعشقه.

أغلقت ياسمين الهاتف وجلست بجوار والدتها تُقبلها وتعانقها بسعادة، والأم تكتم غضبها

وتنظر إليها في غير رضا، أرادت ياسمين أن تستميل عطف الأم فاقتربت منها قائلة :

- سوف يأتي بعد أسبوعين، سينتهي من بعض الإجراءات الخاصة بالعمل وإتمام الزواج، أرجوكِ يا أمي أريد موافقتك ورضاكِ عن هذا الزواج، أنا أحبه كثيراً وأشعر أنه هو الشخص الذي طالما حلمت بوجوده في حياتي.

الأم بلهجة غاضبة: وماذا لو أنجبتِ طفلاً وفشل هذا الزواج ؟

ياسمين: ومن قال أنني إذا تزوجتُ من غيره سوف ينجح الزواج يا أمي، على أية حال لا أحد يتأكد من نجاحه أو فشله بنسبة نهائية، ليس علينا فقط إلا أن نتأكد من الشخص، هل هو صادق أم كاذب، ونتأكد من حسن الأخلاق والطباع، يشبهنا في أشياء ويُكمل ما ينقصنا في أشياء أخرى، وهذا بالفعل ما علمته عن نورالدين طوال الفترة الماضية قبل أن أشعر نحوه بالحب.

الأم : ألهذا الحد تثقين به ؟

ياسمين: ليس إلى حد اليقين ولكن إلى حد يكفي أن أطمئن له وأقبل الزواج منه.

الأم : وماذا لو منعتُكِ أنا من هذا الزواج؟ هل سوف تُصرين على الزواج منه دون إرادتي؟

ياسمين: وكيف يا أمي أفعل شيئاً دون إرادتك، بالطبع لن أغضبك ولكن سوف أحملكِ ذنب تعاستي طوال حياتي، ولن أتزوج من آخر ما حييت لأني أعلم أنني لن أجد مثل ذلك الشخص مرة ثانية.
الأم بألم واستسلام لرغبة ابنتها: إذن افعلي ما تريدين، إن كان خيراً فسوف أسعد من أجلك، وإن..

قاطعتها ياسمين قائلة بسعادة: لن يحدث يا أمي، قلبي يخبرني بأني لن أندم يوماً على حبي لنورالدين ما حييت .

***

-٩-

محاولة أخيرة

كانت ياسمين تستقبل شقيقتها في مطار القاهرة، بسعادة وقلق في ذات الوقت، وصلا معاً إلى المنزل وبعد ترحيب الأم بابنتها دخلت عبير لتنام قليلاً بعد رحلة طويلة استغرقت ما يزيد عن اثنتي عشرة ساعة، في الوقت الذي كانت فيه ياسمين تعد لها الطعام المصري، الذي تشتاق إليه وتتحدث في الهاتف مع نورالدين في آنٍ واحد، روت له ما حدث في يومها وسعادتها بقدوم عبير وإحساسها بما تنوي قوله لها، وعندما شعرت بمدى قلقه، طمأنته وأكدت له مدى حبها واشتياقها له، وروى لها ما يحدث معه من إنهاء إجراءات عودته للوطن بشكل نهائي، حتى لا يفارقها أبدا .

أنهت ياسمين المكالمة معه وهي تشعر بالراحة والثقة بحبه لها، وبدأت تتأهب لمواجهة ماجاءت به عبير من رفض لهذا الزواج .

***

استيقظت عبير وتناولت غداءها مع ياسمين ووالدتهما، وبعدها جلسوا جميعاً في الشرفة يستمتعون بتناول القهوة ويتحدثون ..

تتنفس عبير بعمق وتقول منتشية: بالرغم من أني أحيا في أمريكا حياة مُرفهة إلا أني أشعر بسعادة كبيرة هنا في بلدي وهذا المنزل الذي عشتُ فيه أجمل ذكريات الطفولة.

ياسمين: بعد كل هذه السنوات الطويلة، ظننتُكِ لا تريدين العودة إلى بلدك وتشعرين بالملل عندما تجبرك الظروف على المجئ

عبير: نسبة كبيرة من المغتربين تعجبهم الحياة خارج بلادهم؛ لأنهم غالباً يجدون في الخارج ما ينقصهم في بلادهم، لكن في مقابل ذلك يعانون من مشاكل كثيرة، أولها الحرمان من الأهل ومشاركتهم أهم المواقف والمناسبات، وبصوت يغلب عليه الحزن أكملت عبير حديثها قائلة: هذا غير ما أعانيه أنا من أبنائي

فسألت الأم بقلق : ماذا حدث يا ابنتي؟

أجابت عبير بحزن: لقد أتمَّ مالك ابني عامه الثامن عشر الشهر الماضي بعد سفرك يا أمي من أمريكا.

الأم : نعم يا ابنتي أعلم

عبير بألم: لكنه منذ ذلك اليوم قرر أن يتركنا ويعيش في منزلٍ مستقل كما يحدث مع الأسر الأمريكية، حاولنا إقناعه أنا ووالده باختلاف عاداتنا، لكنه لم يقتنع ويصر على قراره، وعندما علمت أني سوف آتي إلى هنا طلبت منه أن يؤجل المناقشة لحين عودتي لأمريكا.

ياسمين : وهل يؤلمكِ قراره إلى هذا الحد؟

عبير: بالطبع يا ياسمين أنا مازلت أشعر أنه طفلي الذي أخشى عليه من مواجهة الحياة وحده رغم أنه يعمل في عطلات الصيف.

ياسمين بتفاؤل: إذن هو يتعلم أيضا من الغرب أشياءً جيدة مثل الاعتماد على نفسه بالعمل في العطلات.

الأم : كل بلد ومجتمع يا ابنتي لديه من العادات الجيد والسيء أيضا، اتركيهم يتعلمون الأشياء التي تنفعهم وامنعيهم فقط من العادات السيئة.

عبير: بالتأكيد يا أمي، هذا ما أفعله معهم ولكني لم أتعود على خروج أحدهم للحياة وحده

ياسمين: وماذا لو اضطر للسفر إلى بلد آخر للدراسة ؟

عبير : سوف أضطر للموافقة

ياسمين : يجب أن تعتبريه هكذا وتوافقين على أن يستقل بحياته، على أن تحرصي على زيارته والاطمئنان عليه من حين لآخر، فلم يعد ولدك طفلاً يا عبير، ولا تفعلي مثل كثير من أمهات هذا الزمان، تستمر في تدليل ابنها وتفعل له كل شئ حتى يتزوج وبعد الزواج يكتشف أنه غير قادر على تحمل المسئولية، وتبدأ المأساه حين تشعر زوجته بأنها أقوى منه وتستطيع تحمل أعباء الحياة أكثر منه، وتدريجيا تتبادل الأدوار ويبدأ الخلل وبعدها الانفصال وما أكثر حالات الطلاق لهذا السبب!

نظرت إليها عبير وكأنها لم تنتبه لهذا من قبل، وقالت:

- معكِ حق، يجب أن أعتبره تزوج من الآن حتى يستطيع أن يتحمل مسؤلية الزواج

انتبهوا جميعاً على رنين جرس الباب، وذهبت ياسمين لاستقبال القادم، ثم سمعا صوتها مُهللاً في ضجيج :

ـ إنه أحمد، حبيبي اشتقت إليكَ كثيراً

أحمد: وأنا أيضاً اشتقتُ إليكم جميعاً

ذهبا معاً إلى الشرفة حيث تجلس الأم وعبير،

استقبلت عبير شقيقها بحفاوة، فرح بها كثيراً بقدر اشتياقه لها، جلسوا جميعاً يتسامرون ويضحكون والساعات تمضي مسرعة دون أن يشعروا بها .. كانت ياسمين سعيدة بوجود الجميع وهي تُحدث نفسها قائلة: كم هو جميل هذا الجمع العائلي!

طال الحديث عن الذكريات، وعن حياة شقيقتهم في الغرب حتى اقترب الفجر، فقاموا جميعا للنوم، كانت عبير حريصة على ألا تتحدث في موضوع

زواج ياسمين في اليوم الأول؛ حتى لا تشعرها بأنها جاءت فقط لهذا السبب.

لم يخفَ ذلك على ياسمين، فقد كانت ذكية بالقدر الكافي لتفهم ذلك، كانت مرهقة، فاستسلمت للنوم

***

في الصباح الباكر كانت ولاء ذاهبة للعمل مُبتسمة ونشيطة كعادتها، تُلقي التحية على الجميع، تتنقل هنا وهناك، عملها مُرهق بعض الشئ ولكنها سعيدة به لأنه ينسيها آلامها ووحدتها، ونظرات الشفقة التي تراها في أعين البعض، وفي نهاية يومها تستطيع النوم من شدة التعب وهذا هو ما تريده حتى لا يقتلها التفكير في الماضي، انتبهت على رنين الهاتف، نظرت للشاشة المضيئة، ابتسمت، إنها ياسمين ..

- ألو حبيبتي كيف حالك ؟

- أفتقدك كثيرا لماذا لم تأتِ بالأمس؟

- بالتأكيد عبير جاءت لتتحدث معكِ في موضوع زواجك وأردت ألا أسبب لكما إزعاجاً.

ـ كيف تقولين ذلك؟! أنتِ شقيقتنا وأنا أطلعكِ على كل شئ يحدث في حياتي.

ـ أعلم ذلك جيداً حبيبتي، سوف آتي إليكِ قريبا

وأنهت ياسمين المكالمة، وذهبت لتجلس مع شقيقتها.

عبير: لقد اشتقتُ كثيراً لنهر النيل، ما رأيكم نذهب للجلوس في مكان هادئ على النيل؟

الأم : اذهبي معها يا ياسمين وأنا سوف أبقى لأعد الغداء وأنتظر أحمد حتى يعود من عمله.

كانت ياسمين تُدرك جيداً الغرض من الخروج، فوافقت على الفور حتى تحسم الأمر مع شقيقتها.

بعد ساعة كانت ياسمين تجلس هي وعبير في مكانٍ رائع يطل على نهر النيل، كانت عبير شاردة تنظر إلى ماء النيل الذي يجري أمامها وتتنهد، ثم نظرت إلى شقيقتها وقالت بصوت تغلب عليه الحسرة: يعيش الإنسان في الغربة يعد الشهور والسنوات وفجأة يشعر بأن العمر مَرَّ كأنه سُرقَ منه وهو لم يشعر.

ياسمين مُتعجبة: لكنكِ يا عبير مُنذ أن سافرتِ

كنتِ تحبين العالم الجديد ومُنبهرة به، لماذا الحزن الآن حبيبتي ؟

عبير تبتسم بسخرية وتقول: رغم أن العمل في الخارج مُرهق وشاق إلا أنه يحقق الدخل الذي يساعد على نسيان التعب والشقاء بإمكانية الترفيه عن النفس والحياة المريحة التي تُشعر المغترب بآدميته، وهذا الشعور غالباً لا يجده الإنسان في بلده، لو شعر الإنسان أن كل ما يحتاج إليه في الخارج موجود بالفعل في بلده ما كان رضي بالغربة، وما كان يقبل أن يتألم بالشعور بالذنب لحرمانه من أهله، دائما أفتقد الشعور بالأمان والاطمئنان، دائماً هناك شئ يقلقني، هو الخوف عليكم .

ياسمين: أشعر الآن بالذنب تجاهك لأني كنت أظنك لا تتأثرين بذلك، ولكن هوني على نفسك حبيبتي الحياة لا تعطينا كل شئ، دائماً تأخذ لتُعطي، ودائماً لا تكتمل رغباتنا.

استطردت عبير قائلة: وأنتِ حبيبتي هل فكرتِ جيداً في موضوع زواجك من رجل متزوج ولديه أطفال؟ أخشى عليكِ يا ياسمين بعد كل أحلامك في مواصفات زوج المستقل.

أجابتها ياسمين باطمئنان : أنا بالفعل فكرت جيداً ولم أقبل إلا بعد أن وجدت كل الصفات التي حلمت بها موجودة بالفعل في نورالدين، كان من الممكن أن يحدث معي نفس الشئ لو تزوجت من رجل ليس فيه هذه الصفات، اطمئني حبيبتي لم أقبل الزواج من نورالدين إلا بعد أن روى لي كم هو تعيس مع زوجته وتأكدت أني لو لم أكن أنا، ستكون غيري، مشكلة نورالدين تشبه كثيراً مشكلة أحمد إلا أن الأول لم يستسلم وفضَّلَ أن يتخلى عن الألم ويعيش سعيداً.

عبير : والأولاد؟ هل فكرتِ في كم المتاعب التي سوف تواجهك معهم؟

ياسمين: وماذنبهم؟ هم أطفال أبرياء لم يختاروا الأم أو الأب، وأنا ساظل أحاول إسعادهم طالما سيكمل هذا سعادتنا أنا ونورالدين.

عبير : وأبناؤكِ أنتِ من يرعاهم؟

ياسمين: وهل تحدث مشاكل الأطفال إلا بسبب الإنجاب المُبكر .

عبير : ماذا تقصدين ؟ لا أفهم

ياسمين : سواءً كانت الزوجة مراهقة أو ناضجة يكون اهتمامها الأول والأخير بعد الزواج هو الإنجاب، دون أن تعطي نفسها فرصة كافية لفهم الزوج ودراسة شخصيته، ومدى قدرتها على التفاهم معه، والتأكد من أن زواجهما سوف يستمر، وبعد سنة أو سنتين تتفاقم المشكلة وتتعدد الخلافات والاختلافات ويكتشف كلاهما أنه أخطأ في اختيار الآخر، وتكون النتيجة هي الطلاق، والضحية طفل أو أكثر، أنا بالفعل أثق في نورالدين لكني لا أثق في مدى تقبُّل أولاده لي، وهل سوف أنجح في إسعادهم أم لا؟ يجب أن أتأكد أولاً من نجاح زواجي بعدها أفكر في الإنجاب حتى لا أندم وأظلم معي طفلا يظل يلومني طوال حياته على خطأ لم أفعله.

صمتت عبير لحظات ثم قالت بهدوء : معكِ حق، وجهة نظر صائبة، فليس هناك أصعب من حالِ أمٍ تضطر أن تكمل حياتها الزوجية كارهة من أجل أبنائها، أو حال طفلٍ يعيش حياته حائراً بين الوالدين .

أمسكت ياسمين بيد شقيقتها في حنان وقالت:

- لا تقلقي عليّ حبيبتي، لن يكون هدفي سوى سعادة الجميع لذا أشعر أنني سوف أنال من السعادة شيئاً، نورالدين هو الشخص الذي طالما حلمت به، فهل يجب عليّ عندما أجده أن أتركه بهذه السهولة ؟

عبير: إذن ليس لي من الأمر شئ سوى أن أهنئكِ وأتمنى لكِ حياةً سعيدة .

كانت ولاء تنزل من سيارتها الصغيرة وتدخل الجريدة التي تعمل بها في قسم الترجمة، وقفت تنتظر المصعد وكان يقف بجوراها مجموعة من الموظفين، كانت ولاء تتحدث وتبتسم لصديقاتها، وقد لفتت انتباه أحد الموظفين بقسم الحسابات، صعد الجميع، دخلت ولاء مكتبها وألقت التحية على صديقاتها، الجميع يحبونها ويقدرون ما مرت به في حياتها، ويحترمون أيضاً خصوصياتها فلا أحد يحاول أن يتدخل في حياتها الشخصية أو يسألها عن شئ يُغضبها أو يُذكرها بما حدث لها، ولا تحب هي أن تتدخل في حياة أحد، ولكنها ما إن تعلم أن أحداً يحتاج مساعدتها إلا وتسرع لعمل ما بوسعها، **وما** كانت تحب أن تتحدث عن حياتها الشخصية سوى مع

صديقتها الحميمة ياسمين.

قضت ولاء يومها في العمل بنشاطٍ تعودت عليه دائما، وأثناء عودتها للمنزل تذكرت أن تتصل بياسمين للاطمنان عليها..

ياسمين : ألو

ولاء : كيف حالك حبيبتي؟

ياسمين : بخير وأشتاق لرؤيتك، لماذا لا تأتين الآن، أنا في للمنزل أنا وعبير.

ولاء بصوتٍ يغلب عليه التعب: ياسمين أنتِ في إجازة حبيبتي، أما أنا فعائدة من العمل مرهقة وأريد أن أستريح قليلاً، فقط حبيبتي أردتُ أن أطمئن عليكِ، ثم يبدو مما تقولين أن مشاورات زواجك لم تنتهِ بعد، سأكتفِي بأن أدعو لك حبيبتي

ياسمين : كما تحبين .. اطمئني أنا بخير

ولاء : لست قلقة عليك حبيبتي، أنت شخصية عنيدة وذكية وليس من السهل أن يُقنعك أحد بشئ لستِ مقتنعة به .. آراك بخير حبيبتي .

ضحكت ياسمين وقالت لصديقتها: آمل ذلك .

وأنهت المكالمة مع صديقتها

-١٠-

رضاكِ يا أمي

عادا معاً إلى المنزل، وكان على عبير أن تحاول إقناع والدتها بما اقتنعت به، كان أحمد يجلس مع والدته في انتظارهما، أعدت ياسمين القهوة، المشروب المفضل لدى العائلة، ودعت الجميع لتناولها في الشرفة حيث الحديقة الجميلة.

بدأت عبير الحديث مع والدتها قائلة :

- أعلم يا أمي أنكِ قلقة على ياسمين، ولكني بعد أن تحدثت معها بشأن زواجها، تأكدت أنها ناضجة بما يكفي وتعلم جيداً ماهي مقبلة عليه.

الأم: هل هذا رأيك يا عبير؟ وماذا عن زوجته والأولاد و ..

قاطعتها عبير قائلة : لقد تحدثت معها في كل شئ ووجدت عندها الرد المقنع يا أمي لا تقلقي.

انفعل أحمد قائلا : أمي .. ألم يكفكِ شخص واحد تعيس في أسرتك بسبب تعنتك وتعسفك ؟

تفاجأ الجميع بقول أحمد، فردت الأم في حزن :

- لم أقصد أن أسبب لك التعاسة عندما اخترتُ لك زوجة مطيعة وهادئة؟

قاطعها أحمد بانفعال أكبر: عن أي هدوء تتحدثين يا أمي؟ وما رأيكِ في أنه كلما زاد هدوؤها ازدادت نظرات الكراهية لي في عينيها، أنتِ أصدرتِ علي حكماً بالشقاء والتعاسة؛ لأني أعيش مع زوجة تعشق الحزن وتكره نفسها ومَن حولها، لذلك أنا أشعر بما يعاني منه نورالدين وأوافقه تماماً على زواجه من ياسمين، وليتني كنتُ مثله قادراً على اتخاذ هذا القرار!

حاولت عبير تهدئة الموقف قائلة بصوتٍ مرتعش:

- إذن موافقتنا جميعاً يا أمي ومباركتنا لهذا الزواج ينقصها رأيك ورضاكِ كي يسعد الجميع، والآن ما رأيك ؟

تأثرت الأم كثيرا بكلام ابنها أحمد وقالت: سأوافق على أن يأتي لزيارتنا، وبعد أن آراه وأسمع حديثه، سأعلن موافقتي النهائية إذا شعرت بصِدقه.

هنا هلل الجميع وقام أحمد وعبير يقبلان ياسمين ويهنئونها.

بعد أيام قليلة كانت ياسمين تستقبل نورالدين في المطار وهما في قمة سعادتهما، ظلت ياسمين تروي له ما حدث، وهو سعيد وقلق في الوقت ذاته من مقابلة الأم، وطلب نورالدين من ياسمين أن تعطي له أسبوعاً لينتهي من إجراءات انفصاله عن مروة، ثم بعد ذلك تحدد له موعداً مع عائلتها.. فوجئت ياسمين بقرار الانفصال :

- هل تأكدت من قرارك هذا ؟

- نعم .. واطمئني لقد خيرتها وهي التي طلبت الانفصال وبإصرار.

أمسكت ياسمين بيديه وكأنها تواسيه، فأخذ يدها على فمه وقبلها: أنا على يقين بأن الله قد أرسلك إليّ هدية من السماء ليعوضني عما لاقيت في سابق حياتي .

***

دخلت نهال غرفة أحمد فلم تجده، كان الوقت باكراً، لا يمكن أن يكون قد خرج قبل الثامنة صباحاً، كانت تُحدث نفسها، ذهبت تجاه الحمَّام فوجدته يقف أمام الحوض يغسل أسنانه، وشعره الكثيف بخصلاته المجعدة، فأبدت امتعاضها وقالت :

- ألم أقل لك من قبل لا تترك الأولاد يرونك وأنت تغسل رأسك على الحوض حتى لا يقلدونك؟

تناول أحمد المنشفة، وأخذ يجفف شعره ويقول لها:
- ألم يخبرك أحد بأن الناس في الصباح يقولون لبعضهم البعض صباح الخير؟

أشاحت بيدها وقالت: أريد أن أنزل اليوم لشراء بعض المستلزمات الصغيرة وأريدك أن تأتي معي، متى ستأتي ؟

في طريقي للعودة سوف أتصل بكِ وسأنتظرك أسفل العمارة، هل تريدين شيئاً آخر ؟

ذهبت من أمامه دون أن ترد عليه، فألقى المنشفة على الأريكة وارتدى ملابسه وخرج وأغلق الباب خلفه .

****

عاد أحمد من عمله وأخذ زوجته إلى حيث أرادت، دخلت نهال متجراً كبيراً للسلع الغذائية والملابس ومعها أحمد، كانت كعادتها مقطبة الجبين، وكيف تشعر بالسعادة معه وهي لا تشعر بعاطفةٍ نحوه؟ ولكنها أيضا تفتقد للثقة في نفسها، لا تستطيع أن

تذهب للتسوق بدونه، كان هذا حديثها مع نفسها وهي تتجول بين أرفف السلع، وفجأه صرخت أنثى تقترب منها تناديها: نهاااال

فزعت ووقفت مكانها كأنها التصقت بالأرض، ثم نظرت بملء عينيها فشعرت أن هذا الوجه قد رأته من قبل، أسرعت الأخرى تقول: نهال أنت لا تتذكريني هل يعقل هذا؟!

تذكرتها نهال، إنها صديقتها وجارتها عايدة التي سافرت مع والديها في بداية المرحلة الثانوية، وبشئ من الحرج احتضنتها نهال وسألتها عن حالها، كان أحمد يقف في دهشة يتابع الموقف، فهو منذ تزوج نهال لم يعرف أن لها صديقات أو جيرانا، وهي لا تحب أن تتصل بأقارب، دائماً تفضل الوحدة .. فجأة انتبه إلى صوت عايدة تقول بخجل:
- ألن تعرفيني من هذا ؟

نهال : آه هذا أحمد زوجي

عايدة بنظرات إعجاب: ذوقك رائع يا نهال أهلاً بك فرصة سعيدة.

رد أحمد بذوقه المعتاد أنا أسعد

عـايدة: أنا لا أصدق أني وجدتك أخيراً صديقتي العزيزة، إذا لم يكن لـديك مانع في رقم هاتفك حتى لا أفقدك مرة ثانية.

نهـال بصعـوبة: نعم ليس لدي مانع، أعـطـيه لها يا أحـمـد فلم أتعود على حفظ أرقام.

يعطي أحـمـد الرقـم لعـايدة وهـي تبتسـم وتنظر لعـينيه،

تـركـتهما ومضـت بعـد أن وعـدتهما بالاتصال القـريب.

عـادت نهـال للمـنزل كعـادتها لـم تتحـدث مع أحـمـد في شئ، استقـبلهما الأولاد بسـعـادة وأخـذ أحـمـد بعض الأشـياء التي اشـتراها لهـم وأعطـاهـم إيـاها.

***

في صباح اليوم التالي استيقظت نهال على مكالمة من عايدة تقترح عليها أن تخرج معها في نزهة، رفضت نهال مُبررةً بأنها لا تريد أن تعطل الأولاد عن مذاكرة دروسهم، فاستأذنتها في الزيارة للتعرف على أبنائها، ولم تجد نهال مهرباً أمام إصرارها.

خرج أحمد من حجرته، وجدها تتعصب على الأولاد ويعلو صوتها على لا شئ فقال: أعلم أنك دائمة الشجار على أي شئ، ولكن من كان يتصل بنا في هذا الصباح الباكر؟

أجابت في امتعاض: إنها عايدة، ألم تنتبه أنني لم أرحب بها كما يجب؟ فلماذا أعطيتها الرقم الصحيح؟

أحمد متعجباً : وكيف لي أن أعلم ذلك وأنت تتحدثين مع الجميع هكذا، إنكِ لا تحبين أحداً يا زوجتي ولا ...

قاطعته بانفعال: لم أطلب منك أن تعلمني كيف أتعامل مع الناس أنا لا أحتاج أن أتعامل مع أحد.

فدخل أحمد يرتدي ملابسه، ثم خرج مسرعاً من المنزل.

****

مضى الأسبوع سريعاً وانتهى نورالدين من مروة، أجرى اتصالا هاتفيا بياسمين، طلب منها أن تحدد له موعداً لزيارتهم هو ووالده، وبالفعل حددت الأم الموعد، وبدأت ياسمين تستعد لهذا اللقاء .

لم تنم ياسمين جيداً الليلة السابقة على حضور نورالدين، ظلت تفكر في زيارة نورالدين وكيف ستمضي، وموقف والدتها منه .. نهضت من الفراش، تناولت إفطارها وبدأت في ترتيب المنزل، رن جرس الباب، فتحت ياسمين فوجدت ولاء صديقتها أمامها، فرحت بها كثيراً..

- كيف أتيتِ ولديكِ يوم عمل؟

- حبيبتي كيف أتركِ وحدك في يومٍ كهذا ؟

- صنعتِ خيراً كنت محتارة في اختيار ملابسي، تعالِ معي.

ظلت ولاء مع صديقتها، وعند اقتراب موعد نورالدين ذهبت ولاء وتركت ياسمين شبه جاهزة لاستقباله، كان أحمد وعبير جالسان مع والدتهما في الشرفة، رن جرس الباب، كان حارس العمارة يحمل بعض الهدايا وأخبر أحمد أنها من نورالدين،

بعد قليل استقبله الجميع هو ووالده بابتسامة رقيقة، أعطى نورالدين لياسمين باقة ورد جميلة، وأعطاها والده علبة صغيرة من الشيكولاتة تعبيراً عن امتنانه، سعدت بهم كثيراً، في البداية كان نورالدين يشعر بشئ من الارتباك لم يلحظه إلا قلب ياسمين، ثم بدأ يعرِّف نفسه للعائلة وبعدها بدأ يروي عن حياته الأسرية وزوجته السابقة وأولاده.

سألته الأم بقلق : ولماذا لم تفكر في الزواج من قبل أن ترى ياسمين ؟

أجابها بشيء من الدبلوماسية: بداية اسمحي لي أن أناديكِ أمي، فقد كنتُ صغيراً عندما تركتني والدتي وأشعر أني سوف أجد لديكِ من الحب والحنان ما فقدته معها، الرجل في مثل حالتي يعيش راضياً غير مقتنع، لأنه يعلم جيداً أنه ليس من السهل عليه أن يجد المرأة التي يحلم بها ويتمناها بعد أن خاب أمله في اختياره الأول، وبعض الرجال يحاولون أن يعوضوا ما ينقصهم في أي امرأة يجدون لديها بعضاً مما يبحثون عنه، ومنهم من يظل يبحث طويلا دون أن يتغير شئ في حياته، أما أنا فقد أنعم الله عليّ بهذا الملاك، الذي وجدت به كل ما تمنيته في امرأة، ولو

لـم أجـد ياسمين ما كـنت فكـرت يـوماً في الزواج من أخـرى، وأتمـنى أن أكـون أنا أيضا الإنسان الذي يحـقق لها السعـادة .

هـدأت نفـس الأم ولمعـت عـيناها بعـد أن لمس قلبها هـذا الرد وشعـرت فيه بالصـدق، لكنها طـلبت منه أن يـترك لها بعـض الوقـت للتفكـير، فهـي تعـودت ألا تتسـرع في اتخـاذ قـرار .

شـعـر الجـميع بالاطمئنان، رغـم أن أحـمد طـوال الوقـت كـان يشـعـر بـألـم الـذي يسـتفيق من المُخـدر بعـد إجـراء عـملية جـراحـية في جـسده.

كانت ياسـمين تشعـر بالخـجـل وهي تنظـر لنورالـدين كأنها تـراه لأول مـرة، أما عـبير فلا تعـرف لمـاذا كانت تشـعـر بصدق نورالـدين رغـم أنها لـم تعـرفـه جـيداً ولـم تـره من قـبل، تحدثت معه عن السفر للخارج، وزوجها وأبنائها.

بـدا على الجـميع الشعـور بالـراحـة والتفـاؤل وخـاصـة بعـد أن استمـر الحـوار بيـن أحـمـد ونـورالـدين وشـعـرا بالانسجام وتـوافـق الآراء بينهما.

انتهـى اللقـاء بسعـادة العـائلة وذهـب نورالدين وهـو يتمـنى أن يكـون فـرداً جـديداً فيها .

-١١-

الفرصة

في صباح اليوم التالي ذهبت ولاء إلى العمل، وجدت بعض صديقاتها أمام المصعد فوقفت معهن يتبادلن الحوار والضحكات، وإذا بشاب يقترب منهن ويشترك في الحوار، نظرت إليه في استغراب، لم يسبق لها أن رأت هذا الوجه فانتبهت لهبوط المصعد، دخلت هي وصديقاتها، ووقف الشاب وكأنه يفكر في طريقة للوصول إليها، سأل بعض الأصدقاء وعلم عنها الكثير .

مضت ساعات في العمل وولاء تتنقل هنا وهناك في نشاط بين المكاتب والأصدقاء، وأثناء وجودها خارج مكتبها، دخل الشاب، فرحبت به إحدى الزميلات:

- أهلا هاني

- أهلا إيمان كيف حالكم ؟

- بخير ماذا تفعل في قسم الترجمة ؟

- أنهي بعض الأوراق، تُرى لمن هذا المكتب الفخم؟

- إنـه مكتب زميـلتنا ولاء

- آه .. آنسـة ولاء

وجـلس هاني عـلى المكـتب متظـاهـراً بالانشغال في الحـوار، بعـد دقـائق دخـلـت ولاء، وجـدته يجـلس عـلى المكـتب ..

ولاء : ممكـن مـن فضـلك؟

يسـتمـر في حـديثه مع الزمـيلة متجاهـلاً ولاء لجـذب انتباهها بشكـل أكـبر

ولاء تُكـرر: من فضـلك هـذا مكـتبي هـل تسـمح ؟

- آه آسـف جـداً لـم أنتبـه

جلست ولاء على مكتبها متعجبة من جرأة الرجـل، بينما استمر هو في حواره مع الزمـيلة، سألها بذكاء :

- الآنسـة ولاء غاضبة مني ؟

ولاء تنـتبه فجـأة كـأنها كـانت شاردة تفكر في شئ آخـر:

- ماذا ؟ لا لمـاذا أغضب؟

- لأني اقـتحـمت مكتبك وجـلست عـليه

بهـدوء ورقـة معـتادة تـرد ولاء: لا .. لا أبداً

فأسرع يقول لها: لم أركِ هنا من قبل فهل أنت موظفة جديدة هنا في قسم الترجمة ؟

- بالطبع لا .. وأنا أيضا لم أتشرف برؤيتك من قبل، في أي قسم تعمل في الجريدة

رد بغرور: وهل هناك أحد لا يعرفني في الجريدة!! أنا أعمل في قسم الحسابات منذ سنوات ويسعدني جداً أن أتعرف على موظفة رقيقة وجميلة مثلك، أتعلمين؟ كنت أراكِ كثيرا ولكني ترددت في أن أتحدث معكِ، أعرفك بنفسي، هاني حسين، عمري ٣٥ سنة، أحب الموسيقى، رومانسي، يهوى السباحة والسفر.

كانت تصاحب كلمات هاني نظرات إعجاب واضحة ومُتعمدة، كانت ولاء تلحظ ذلك جيداً، ولكنها تتجنب النظر المباشر لعينيه وهي تقول: وأنا ولاء، كما ترى موظفة في هذا القسم وأحب القراءة والموسيقى.

جذب مقعداً وجلس أمامها وهو يقول لها: أي نوع من الموسيقى تحبين سماعها؟ أنا لدي العديد من الإسطوانات لموسيقى الجاز والكلاسيك سوف أحضرها لك وتختاري منها ما تحبين سماعه.

ابتسمت ولاء في استحياء وقالت: أشكرك جدا لا داعي، أنا بالطبع أيضا لدي إسطوانات كثيرة.

لم يعطِ لها فرصة للهروب من لقاء آخر وقال لها:

- هذه فرصة لنتبادل منها الحديث والقديم، هل لديك مانع ؟

أجابت بقليلٍ من الحَرج : لا ليس لدي مانع.

ذهب هاني وتركها في حيرة، فسألت زميلتها عنه وأجابتها بأنها لا تعلم عنه سوى ما ذكر هو، إلا أنها أضافت أنه بالفعل مغرور .. لم تستطع أن تحدد شعورها إن كانت ضاقت بطريقته في التعرف عليها أم تستلطفه لوصفه لها بالجميلة والرقيقة، حاولت أن تتجاهل التفكير به، فقد لا تراه مرة ثانية، تجاهلت الأمر واستمرت في عملها حتى انقضت ساعات العمل وانصرفت مع الجميع.

***

بعد أيام من زيارة نورالدين، نهضت والدة ياسمين من فراشها في الصباح يبدو على وجهها الاطمئنان، كانت عبير وياسمين تجلسان في الشرفة تتحدثان معاً،

دخلت عليهما الأم تبتسم : لماذا لم توقظني إحداكما للجلوس معكما؟

ياسمين : لم أُرِد إزعاجك حبيبتي فقد لاحظت أنكِ كنت قلقة إلى وقت متأخر.

الأم : بالفعل نمت بصعوبة الليلة الماضية

عبير : لكني أرى الابتسامة تُنير وجهك يا أمي

ابتسمت الأم ابتسامة عريضة وقالت: نعم لأني أشعر بالراحة، فقد صليت الاستخارة ورأيت خيراً يا ابنتي في أمر ياسمين، أتمنى من الله أن يتحقق لك ذلك.

تهلل وجه ياسمين وقالت : حقاً يا أمي؟ أتعنين أنك توافقين على زواجي من نورالدين؟

الأم : نعم يا ابنتي أوافق، أنا أشعر أنه إنسان طيب القلب وعلى خلق أما عن أنه متزوج فهذا الأمر يرجع لمدى قبولك أنتِ.

فهللت البنتان ونهضتا تقبلان والدتهما في سعادة كبيرة .

الأم: يستطيع الآن أن يحدد موعدَ الخطبة في وجود العائلة.

ياسمين مهللة: بالتأكيد يا أمي ستكون في أقرب وقت.

كان أحمد يجلس في غرفته عندما رن جرس الهاتف المحمول الخاص به، فأجاب:

- أهلا ياسمين، حقا؟ هل وافقت بالفعل؟ مبارك لك حبيبتي أنت تستحقين حياةً سعيدة، هنيئا لكِ، بالتأكيد سوف آتي في أقرب وقت.

دخلت نهال عليه الغرفة :

- أحمد، أريد بعض الحلوى لأن عايدة سوف تأتي اليوم

أحمد: حقا؟ أنا سعيد لأني أخيراً رأيت لك صديقات

نهال: ولكني لست سعيدة مثلك، إنها ورطة ولن تتكرر، هذه ورقة كتبت لك فيها ما أحتاجه .. اذهب الآن

ذهب أحمد لشراء ما تريده زوجته وهو يتعجب من ردها عليه .

بعد ساعة فتح أحمد الباب، وجد نهال تجلس مع صديقتها عايدة ويعلو صوتها بالضحكات، دخل المطبخ ليضع ما أتى به ثم ذهب ليرحب بالضيفة الجديدة ..

أحمد : أهلا بكِ آنسة عايدة كيف حالك ؟

مدت عايدة يدها لأحمد وابتسامة عريضة تملأ وجهها، وبريق الإعجاب يملأ عينيها : أهلا بك يا أحمد كنت أخشى ألا أراك اليوم .

كانت الدهشة هي حالة نهال وأحمد عندما سمعا جملة عايدة، وظهرت على وجه نهال ابتسامة صفراء، فأسرعت عايدة قائلة: أعني أني كنت أريد أن أسألك عن نوع جهاز (لاب) جيد لأني لا أعرف الفرق بين أنواع الأجهزة.

أحمد يرد وهو غير مقتنع: ليس لدي مانع سوف أكتب لك الأنواع الجيدة وأعطيها لنهال.

وقبل أن يستأذن قالت: ولماذ تعطيها لنهال وأنا هنا؟ اكتبها الآن وأعطها لي.

وبالفعل غاب قليلا ثم عاد وفي يده ورقة صغيرة، مد يده يعطيها لعايدة فتعمدت أن تضغط على يده لتجذب انتباهه إليها، فشعر بارتباك و استأذن وتركهما معا.

***

بعد أيام من موافقة الأم تحدد موعد الخطبة، لم يحضر إلا العائلة وولاء صديقة ياسمين، كان الجميع يشعرون بالسعادة باستثناء نهال زوجة أحمد، التي لم يحدد تعبير

وجهها إن كانت سعيدة أم لا تبالي بالأمر، ذهب نورالدين مع والده، كانت ياسمين رائعة الجمال، ترتدي فستاناً من الدانتيل الروز يكشف نصف ساقيها وكتفيها، وشعرها المائل للأشقر جمعته داخل تاج رقيق فبدت كملكة، أخرج نورالدين من جيبه علبة صغيرة وأخرج منها خاتماً رقيقاً من الألماس ودبلة من الذهب وأخرى من الفضة، وضع كليهما خاتمه في إصبع الآخر، قبَّل نورالدين يدها، وهنأهم الجميع .

عادت عبير إلى أمريكا، ووعدت شقيقتها بمحاولة حضور حفل الزفاف .

*****

على مدى ستة أشهر اختارت ياسمين أن تسكن في الرووف لأسبابٍ عديدة، كانت تلتقي بنورالدين تقريباً يوميا لتجهيز المنزل، كانت ولاء سعيدة من أجلها، تتواجد معها وتساعدها في اختيار ما تريد.

كان شعورها مزيجاً من الإرهاق والسعادة، نسيت أن لنورالدين زوجة سابقة وأبناء، لم تتذكر سوى رقته معها وحبه لها، وكلما ازداد حبه لها زاد تعلقها به وخوفها عليه واهتمامها به، هي أيضا تشعر أنه ملاك من السماء، وتشعر أنه من الصعب أن تبتعد عنه لأي سبب من الأسباب

****

على الصعيد الآخر كانت عايدة تزور نهال على فترات متقاربة، وفي كل مرة تتأكد من فشل الحياة الزوجية بينها وبين أحمد، وأن نهال لا تستحق هذا الرجل، وفي كل مرة أيضا يزداد تعلقها بأحمد، ولكنها كانت تتردد في الاعتراف له بحبها خوفاً من رد فعله تجاهها، إلى أن جاء يوم كانت تجلس فيه مع نهال وعلمت أنه سوف يخرج للذهاب لوالدته، فانصرفت قبله وانتظرت أسفل العمارة، وما إن وجدته يخرج حتى اقتربت منه ..

- أحمد ممكن آخذ من وقتك دقائق؟ أريد أن أتحدث معك في موضوع مهم.

- تفضلي يا عايدة ماذا تريدين؟

- ليس هنا هل من الممكن أن نذهب لمكان هادئ؟

- يجيب أحمد بارتباك: نعم ممكن، تفضلي في السيارة.

اصطحبها أحمد لكافيه يبعد عن منزله تحسبا أن يراه أحد من الجيران، وهو يتوقع ما تريد عايدة التحدث فيه، فلا تخفى عليه نظراتها التي تنطق عما في قلبها، ولكنه كان حريصاً ألا يشجعها، لكنه الآن يجذبه إصرارها، كانت أكثر جرأة منه .. جلست عايدة في المقعد المقابل لأحمد وظلت ناظرة لعينيه تحاول أن تصارحه ولكنها كانت تخشى من رد فعله، وأخيراً ..

- أحمد .. طوال فترة وجودي في منزلكم لاحظت أنك لا تشعر بالسعادة مع نهال، وأنك ينقصك الكثير معها.

قاطعها أحمد كأنه يتعجل اعترافها بحبه قائلا : ثم ماذا؟

- أريد أن أعترف لك بشئ، لم نكن أنا ونهال صديقات بمفهوم الصداقة الحقيقي، وإنما كنا جيراناً وزميلات دراسة فقط، لأن شخصية نهال لم تتفق أبداً مع شخصيتي، ولهذا السبب أيضا لم أهتم أن أبحث عنها،

إلا أن القدر جعلني ألتقي بها صدفة كي أراك أنت، فمنذ رأيتك لأول مرة شعرت أنك تجذبني دون إرادتي، لم أهتم من أنت بالنسبة لنهال، ولكن كل ما فكرت به حينها أني معجبة بك ولابد أن أصل لقلبك، جذبتني أناقتك، أنت إنسان رائع، وسيم و راقٍ، كل شئ فيك يا أحمد يجذبني ويعذبني في الوقت ذاته، أنا أحبك .. أحبك.

كان أحمد يسمع هذا الكلام الذي لم يسمعه من قبل وكأنه تحت تأثير مُخدر، بصعوبة استطاع أن ينطق ويسألها : وصديقتك؟

- قلت لك ليست صديقتي، منذ أن رأيتك معها أخدت رقم الهاتف من أجلك وجئت من أجلك، هي أيضا لا تعتبرني صديقة، هي تعاملني دائما بجفاء كي أذهب ولا أعود، وأنا لا ألومها على ذلك االشعور وسأفعل ذلك ولكن بعد أن تُصبح زوجي.

اتسعت عينا أحمد من المفاجأة: ماذا؟ أنتِ مجنونة

- أحمد أنا لا أحب أن أضيع وقتاً كما ترى، عندما أريد فعل شئ أفعله، أنت تحتاج إليّ وأنا أحتاج إليك، فلنتزوج ونعيش الحب معاً.

وقبل أن يجيب أرادت أن تطرق على الحديد وهو ساخن، فاقتربت منه وأمسكت يده وبصوت ناعم قالت:

أنت شخص رائع، لديك كل الصفات التي تجعل أجمل النساء تهيم بحبك، وأنا أحببتك ولست على استعداد أن أتركك تضيع من يدي، نتزوج دون أن تعلم نهال بالأمر ولن يكلفك الأمر شيئا، أنا على أي حال مطلقة وأعيش وحدي، أريدك لي زوجا وحبيبا فقط.

****

-١٢-

زفاف ياسمين

انتهت ياسمين من إعداد منزلها الذي اختارته بعناية في مكان هادئ، فيلا مكونة من دورين أعلى البناية، الدور الأسفل ريسيبشن كبير وثلاث غرف مصممين على الذوق الأمريكي، والدور العلوي على الطراز نفسه، إلا أن نصف المساحة يشغلها الرووف الذي جعلته جنة في انتظار ساكنيها، في تلك الفترة سافر نورالدين لرؤية أولاده ووعدهم بأنه سوف يأخذهم ليقيما معه في المرة القادمة، وهذا ما أقرته مروة زوجته السابقة بعد أن ضاقت بواجباتهم ومسئوليتها تجاههم، وبعد أن علمت باقتراب موعد الزواج.

عاد نورالدين من السفر، كان حريصا أيضا على إعداد مكتب هندسي ليكون مستقره في بلده كعمل، كانت ياسمين تتابع كل ما يشغله وتشاركه الرأي فيه، كانت سعيدة بحبه وبشخصيته القوية التي تواجه كل مسؤولياته تجاه من حوله وخاصة ياسمين.

***

اليوم هو يوم سعادة للجميع وانشغال أيضا، تجلس الأم مع ابنتها في غرفة في فندق كبير تستعدان للخروج إلى الحديقة، التي سوف يتم فيها الاحتفال بالزفاف في وضح النهار، كما أحبت ياسمين.

يتابع أحمد كل التجهيزات ويستعد، لم تغِب عن ذاكرته كلمات عايدة له وطلبها الزواج منه، ولم ينس ما حدث له حينما اقتربت منه وأمسكت بيده، شعر وكأن الدنيا تدور به، وامتلكته رغبة في أن يلتهم شفتيها، فانتفض من على المقعد كأنه يريد أن يستيقظ وطلب منها أن ينصرفا على أن تترك له الفرصة للتفكير فيما تريده، ويريده هو أيضا ويُخفيه في نفسه.

اعتذرت عبير عن حضور الحفل، لكنها أهدتها دعوة لرحلة أسبوع في تايلاند وطلبت منها أن ترسل لها صور الحفل، سعدت ياسمين بهدية عبير وأضاف نورالدين أسبوعاً آخر لينعما بأيام جميلة أطول.

****

بدأ الحفل وأطلت ياسمين تشبه الملاك في جمالها الهادىء ووجهها المضئ بابتسامة ساحرة، ترتدي الثوب الأبيض المُرصع، وتاج الملكات الذي يحيط شعرها، تمسك بيد أخيها أحمد وتمشي بخطى هادئة

على عزف الكمان الجماعي، إلى أن يصلا لمكان نورالدين، الذي بدا كأنه نجم يتلالأ نوره في سماءٍ صافية من السعادة البادية عليه، كانت نظرات عينيه لها تنطق بكل كلمات الحب .. "ها هي المرأة التي طالما تمنيت وجودها في حياتي قد جاءت، الملاك الذي حلمت به بجواري قد آن الأوان لرؤيته".

قبَّله أحمد وأمسك نورالدين بيد حبيبته، ثم قبلها وأخذ يدور بها ويراقصها على أنغام الموسيقى بسعادة كأنه لا يصدق نفسه، كانت ياسمين تشعر أنها في حلم جميل لا تريد أن تستيقظ منه، هذا هو الحلم الذي طالما انتظرته يتحقق، الحبيب الذي تمنيته معي الآن يسعد بي وأسعد به، ولابد أن أفعل كل ما بوسعي كي أجعله سعيداً دائماً.

كانت الأم سعيدة لسعادة ابنتها، كسعادة والد نورالدين الذي بدا وكأنه يحتفل للمرة الأولى بزواج ابنه، كانت ولاء كفراشة تتحرك بين المدعوين، سعيدة من أجل صديقتها، وكانت تساعد أحمد في إعداد الحفل والاهتمام بهم أيضاً، أما نهال فكعادتها ظلت جالسة في مقعدها طوال الحفل مقطبة الجبين وكأنها مضطرة للحضور دون رغبتها، كان أحمد طوال الحفل مرحاً **سعيداً** من أجل ياسمين، ينظر إليها وهي ترقص بين ذراعي

نورالدين ويعلو صوت نبضات قلبه فرحاً، وأحياناً يتخيل نفسه يراقص عايدة ويسأل نفسه فجأة: "هل من الممكن أن تحبه كما تحب ياسمين نورالدين؟ وهل إذا تزوجها سوف يشعر بنفس السعادة؟"، ثم تقع عينه على نهال فيعود للوم والدته أن اختارت له امرأة جامدة المشاعر لا تعلم أن هناك كلمة تسمى حب وأخرى تسمى فرح، فيختلس النظر إلى والدته يجدها تنظر إليه بحسرة وألم، فيعلم أنها تشعر به ولكن دون جدوى فيعود للنظر للعروسين ويبتسم ابتسامة أمل.

****

انتهى الاحتفال وصعد العروسان لغرفتهما بالفندق، أصر نورالدين أن تدخل ياسمين الغرفة وهو يحملها على ذراعيه، فكانت سعيدة لا تصدق أن الأحلام من الممكن أن تتحقق هكذا، كانت الغرفة مصممة على الطراز الملكي، فشعرت ياسمين بأنها أميرة من زمن الأساطير، اقترب منها نورالدين يتأملها، وراح يداعبها بأنامله ويلثم عنقها ويقول: أنت من الآن أميرتي. تبتسم ياسمين بخجلٍ وهي تنظر إليه، فيضمها إليه ويقبلها، فيغرقا في سحر اللقاء وتغمرهما النشوة وتمضي الليلة في سعادة.

في اليوم التالي سافر العروسان إلى جزيرة تايلاند ليقضيا معاً أسبوعين ينهلان فيهما من العسل.

****

تكررت زيارات هاني لمكتب ولاء محاولاً الفوز بقلبها دون غيره، بدأ قلبها يستجيب لتلك المحاولات، كان يغدق عليها بكلمات الإعجاب والغزل وأحياناً ببعض الهدايا، كانت حريصة في البداية على أن يتقابلا خارج مكان العمل إلى أن أقنعها ذات يوم بالقيام برحلة تابعة للجريدة وسط الأصحاب في العمل، وافقت ولاء وقضت يوماً جميلاً، خاصة أنه كان يهتم بها بشكل خاص، حتى أن بعض الزميلات لاحظن ذلك وأخذن يشِرن إليهما ببعض التلميحات، فكانت تهرب من الحديث عن حياتها الخاصة حتى تتأكد من صدق ما بينهما أولا .

*****

كانت ياسمين تشعر أنها عادت طفلة من جديد، يغمرها حبيبها بحنانه وحبه ويلتقط لها الصور في كل مكان، فكانت ترسل الصور لعائلتها وصديقتها الوحيدة ولاء، هنا تتأرجح والابتسامة تملأ وجهها، وأخرى وهي تركب على ظهر الفيل ويبدو على وجهها الخوف .. هي سعيدة تشعر بأن لا أحد في الكون في مثل سعادتها، نورالدين يشعر وكأنه وُلد من جديد، يجري وراء ياسمين، يحاول الإمساك بها قائلا : أشعر وكأني لم أعِش قبلك حياة، أنا ولدت يوم قابلتك حبيبتي .

كانت العائلة سعيدة بسعادة ياسمين، صار أحمد يذهب لوالدته يوميا للاطمئنان عليها، وأحياناً ينتهز الفرصة ويهرب من رؤية نهال ويبيت مع والدته، فيظل طوال الليل يتحدث في الهاتف مع عايدة، التي تتابع أخباره باهتمام من خلال محادثات الهاتف واللقاءات، فتُسمعه أرق كلمات الحب التي يفتقدها .. تحيطه بحنانها الزائد حتى لا تدع له فرصة للهروب منها، أحضرت له هدية، زجاجة عطر فاخرة، فرح بها على الرغم من أنه يقتني من زجاجات العطور أفخمها، لكن أن يأتي أحد له بهدية يحبها فهو شئ له وقع آخر على نفسه، خاصة إذا كان من امرأة تهتم به وتحبه .. لم يستطع أن ينكر على نفسه أن عايدة بدأت تأخذ مكاناً في قلبه أو بالأحرى تحتل قلبه، فهي تعلم جيداً مرضَه ودواءه، تعلم مدى احتياجه للحب، ومدى احتياجه لأنثى تتدلل عليه وتشعره برجولته وقيمته في حياتها، هي تجذبه بنظراتها التي تعبر عن رغبتها فيه وشوقها لجسده، فكرت يوماً أن تلتقي به في شقتها ولكنها تراجعت كي تصل به إلى ما تريد، هي لاتريده عشيقاً بل تريده يشتاق لها كما تشتاق إليه، تريده زوجاً تشعر معه بالأمان والحب دون أن تخشى أحدا، تمشي معه في الشوارع وتتسوق معه في المحلات، تباهي به الناس، تريد أن تشعر بجانبه أنها

ملكة تتربع على عرش قلبه، وليس فقط جسدا يستمتع به ثم يمل منه ويمضي لحال سبيله، هي تعرف جيدا أنها سوف تصل إليه ولكنها مسألة وقت ليس أكثر.

لم تهتم نهال بالسؤال عنها عندما غابت أسبوعين دون اتصال بها، بل رحبت بالفكرة وأسرَّتها في نفسها، فهي تعودت على السلبية في ردود أفعالها، كما إنها لم تتقبل عايدة من البداية ولم ترغب في وجودها، ومع ذلك لم ترفضها أيضاً أو تحاول يوماً أن تتهرب من زياراتها غير المرغوب فيها، فهي شخصية لا تستطيع أن تحدد شعورها تجاه الآخرين إن كانت تحبهم أو تكرههم، تتكلم قليلا، تبتسم قليلا، كثيرة البكاء!

أخبرتها عايدة بعد ذلك في مكالمة قصيرة أنها سوف تضطر للسفر كثيراً في الفترة القادمة، لذلك لن تستطيع زيارتها، وهي تعلم أنها لن تهتم بغيابها أو وجودها .

****

مضى أسبوعان وعادت ياسمين مع حبيبها إلى شقتها التي اختارتها واختارت كل قطعة فيها بحب وذوق يخلق لهما الحياة الهادئة ويكمل سعادتهما بحبهما معاً، جلست ياسمين على أرجوحة تستند على كتفه ويحيطها بذراعيه كأنها تختبئ بداخله، ويملأ المكان رائحة الياسمين، وصوت الموسيقى الكلاسيكية يبعث على المكان جواً من الخيال والرومانسية.

نورالدين: أنا لا أصدق أني أرى كل هذا الجمال و أستمتع به بعد أن كنت أجلس وحيداً لا أشعر بوجود أحد جانبي أو يشعر بي أحد، هل هذا حقيقة أم خيال ؟!

ياسمين تهمس في أذنه: إنها الجنة.

نظر في عينيها قائلا: وأنتِ نهر العسل الذي طالما حلمت أن أرتوي منه.

وقبَّلها بشوق كأنها المرة الأولى التي يقبلها .

مضى شهران على زواجهما، بدأ نورالدين عمله منذ شهر مضى، قررت ياسمين أن تمارس عملها من المنزل بالمراسلة والذهاب وقتما تستطيع ذلك، كان كل شئ يمضي بسلام حتى ذلك اليوم الذي اتصلت فيه مروة بنورالدين تطلب منه أن يستعد لاستقبال أولاده بعد

أسبوع لأنها ماعادت قادرة على تلبية احتياجاتهم ورعايتهم وحدها .

****

-١٣-

مروة

علمت مروة بزواج نورالدين ومدى سعادته مع ياسمين، ورحلة شهر العسل، وكان الحقد عليهما ينهش قلبها ليلا ونهارا، هي لم تحبه يوما ولكنها الآن صارت تكرهه وتكرهها، هي لا تتمنى لهما أن ينفصلا عن بعضهما فقط، بل تتمنى لهما الموت، نعم، ولولا الخوف على نفسها من العقاب لدفعت من أموالها لمن يقتل ياسمين، المرأة التي استطاعت أن تغلق لها ماكينة الأموال التي تسحب منها ماتشاء وقتما تشاء، أغلقت محال الذهب والألماس التي كانت تغدق عليها وحدها.

جلست شاردة وملامح وجهها تعبر عن كم الحقد الذي يأكل جسدها كالنار، نادمة على أنها تسرعت في قرار الانفصال، استمرارها كزوجة له كان سوف يمكّنها من تدبير المكائد لياسمين عن قرب، ولكنها لا تعترف بالهزيمة ولن تستسلم، ستظل تصارع حتى تسترد كل هذا مرة ثانية، وسيكون سلاحها هو الأولاد، سوف تفعل كل ما تستطيع لكي يأتي إليها نورالدين راكعاً تحت قدميها يرجوها أن ترضى عنه، هكذا كانت تحدث

نفسها، قررت أن ترسل إليه الأولاد بعد أن دست السم في قلوبهم وعقولهم من ياسمين، وظلت توصيهم بها شراً دون أن تفكر أنها بهذا تدمر أبناءها وتخلق منهم نفوساً مريضة .

*****

تأخر أحمد في الرد على عايدة في أمر الزواج، بالرغم من أنها تتحدث إليه في الهاتف يومياً، كانت تشعر بالقلق من أن يبتعد عنها، وكان هو قلقاً من رد فعل عائلته، ومن أن يبتعد عن أولاده أيضاً، فهو لا يطيق هذه الفكرة، لا يستطيع أن يتركهم ويقيم مع امرأة أخرى، يشعر بالحيرة بينهم وبين امرأة تنتظره بكل ما تحرمه منه نهال، صارت تطارده في النوم واليقظة، ولكنه خائف، نعم يخشى أن يُقدم على هذه الخطوة الجريئة، ليست لديه الجرأة والشجاعة التي كانت لدى نورالدين، ولكن عايدة كانت تمتلك الجرأة لفعل أي شئ يقربه منها؛ لذا هي تفكر في شئ أكثر إثارة من محادثات الهاتف، حتى لو كان مجيئه للمنزل ومحاولة إغرائه بشئ يُزيد من لهيب قلبه وجسده أيضاً؛ لتجعله يقبل عليها ويتخذ القرار بالزواج منها.

***

رن هاتف أحمد يوماً، وكان يجلس مع والدته في الشرفة يقرأ الجريدة ويتناول القهوة معها، أجاب بصوت منخفض: ألو

جاءه صوتها أشبه بالهمس: أحمد حبيبي أنا مريضة وحرارتي مرتفعة ولا أستطيع أن أخرج لطبيب أو أحضر أي دواء، ممكن تحضر لي بعض الأدوية وتأتي لمنزلي الآن ؟

وقبل أن يرفض أو يوافق، ظلت تسعل وتقول بصوت متقطع: أرجوك .. أرجوك

لم يستطع مقاومة ندائها الذي يشك في صدقه، واعتذر لوالدته بعد أن أخبرها أن صديقه في مأزق ويريد مقابلته ويجب أن يسرع إليه، لم يخف على الأم احمرار وجهه وارتباكه، ولكنها استبعدت تماماً أن تكون هناك امرأة في حياته .

ذهب أحمد بالأدوية إلى منزل عايدة، الذي اصطحبته إليه من قبل ليعلم مكان إقامتها، أملا منها في أن يقتحم وحدتها يوماً ولكنه لم يفعل فأرادت مساعدته.

ضغط أحمد على زر الطابق السابع ثم خرج ليضغط على الجرس، ففتحت عايدة الباب وهي لا تصدق أنه أمامها، مجرد موافقته على الذهاب إليها له معانٍ كثيرة

جميلة، كانت جميلة، ترتدي (روب) لونه أحمر، وحاولت أن تتصنع التعب إلى أن دخل (ريسيبشن) واسعاً، أثاثه مودرن أنيق وألوان جدرانه دافئة تبعث الشعور بالدفء .. تركته ودخلت دقائق لغرفة النوم، ثم خرجت ترتدي فستاناً يُظهر كتفيها ونصف صدرها، تبدو مثيرة بجسدها الأبيض الممتلئ قليلاً، وشعرها الأسود، وقد وضعت القليل من الماكياج فبدت أجمل في هذا الثوب الفاتن، كان في حالة ارتباك، فمنذ أن تزوج نهال لم يرها يوماً بهذا الجمال وهذه الإثارة، حتى يوم زفافهما، حاول أن يخفي ارتباكه قائلا: لا يبدُو أنك مريضة لماذا فعلتِ ذلك؟

فجلست على الأريكة ودعته للجلوس بجوارها قائلة :

- نعم اضطررت أن أكذب عليك لأني أريد أن أحدثك في أمر زواجنا، ألم تلحظ أنك قد تأخرت كثيراً في الرد عليّ؟

جلس بجوارها وهو يجفف عرقه ويقول : الأمر ليس سهلاً هكذا.

اقتربت منه أكثر ورائحة عطرها وصدرها العاري تثيره، فغلبته غريزته والتهم شفتيها وراح يرتشف من

رحيقهما حتى الثمالة، ولكنها أفاقته قبل أن يفقد الوعي أكثر من ذلك ونهضت قائلة :

- ليس هذا ما أردته من مجيئك هنا يا أحمد، أنا أريدك أن تُحسم أمرك معي هل سنتزوج أم لا ؟

بدون تفكير وتحت تأثير إغوائها له، نهض من مكانه واقترب منها، أحاط خصرها بذراعيه وهو يحاول تقبيلها مرة ثانية، فانسلت من بين ذراعيه وابتعدت

فهبط بجسده المضطرب على مقعد قائلا :

- نتزوج الآن ولكن بشرط ألا يعلم أحد غيرنا.

- تهلل وجهها فرحاً، لقد نجحت في مخططها، وراحت تقبله وقالت: دقيقة واحدة أغير ملابسي ونذهب لأقرب مأذون .. أعدك بأني سأفعل ما تريد.

***

جلس نورالدين شارداً قلقاً يفكر في أمر مجئ أبنائه الذي يعرف جيداً الغرض منه، دخلت ياسمين من خلفه، أحاطته بذراعيها وقبلته وهمست له :

- هل يفكر حبيبي في غيري؟

- بل في سعادتك حبيبتي، لم أتوقع أن يأتي الأولاد هكذا مبكراً، على الأقل بعد سنة من الزواج أو أكثر ولكن من الواضح أن مروة أرادت أن تعكر صفو حياتنا.

جلست ياسمين على قدميه وهي تحتضنه وتقول :

- لا تقلق حبيبي، فإذا كنت أنا رضيت بكل ظروفك وأهمها أبناؤك، فما الفرق بين أن يأتوا اليوم أو بعد سنة، هم أبناؤك وأنا على يقين أني سأجعلهم يحبونني وبمساعدتك لي سوف أعرف جيدا أن أتعامل مع مشكلتهم، اطمئن ولا تجعل شيئاً يؤثر على سعادتنا. وراحت تدس وجهها في صدره وترتشف من رائحته، فحملها كالطفلة ودخل بها إلى الغرفة ليذوبا معاً في عشقٍ لا ينتهي .

****

عاد أحمد وعايدة لمنزلها بعد أن تم عقد القران، ولم تنس أثناء عودتهما أن تمر على بعض محلات الملابس لشراء بيجامة لأحمد وبعض الأغراض الصغيرة له، كما أنها لم تنس أيضا عند وصولهما أن تُعلم حارس العمارة أن هذا الرجل هو زوجها؛ حتى تحمي نفسها من القيل والقال، ولم يعترض أحمد، كانت سعيدة لأنها تحبه وترى فيه ما لا تراه ولا تشعر به نهال؛ لذلك هي لا تشعر بالذنب تجاهها لأنها لا تعرف قدره، إذن هي لا تستحق هذا الرجل، أنا أعرف قدره جيداً وسأفعل له كل ما يريد، هو وهبني اسمه وأنا سأهب له كل حياتي. أعدت له كل شئ في غرفة النوم ونادته، فدخل الغرفة ليجدها في انتظاره شبه عارية وشعرها الأسود يغطي نصف ظهرها، نسي أي شئ وكل شئ ولم يتذكر سوى شئ واحد فقط، هو أنه قد آن الأوان له أن يفتح الأبواب لشهوته التي ظل يقاومها سنوات طويلة، فراح يقبل كل جسدها حتى ضاع معها في عالم لم يره أو يشعر به من قبل .

لم يستطع أحمد أن يترك عايدة لمدة أسبوع، نجحت أن تجعله ينسى كل شئ باستثناء أولاده، تحدث إليهم أكثر من مرة واطمئن عليهم وأخبرهم أنه مسافر مع صديق له .

ترك نفسه غارقاً في العسل مع عايدة، عرف أنه كان تعيساً، محروماً من الحياة .. عايدة لا ترضي شهوته فقط، بل أعطته قيمته، جعلته يشعر أنه زوج بالفعل، هي تتمنى أن يطلب منها أي شئ، ولا تريد منه سوى أن يكون بجوارها فقط، تنتظر قدومه، تعد له أغراضه، تخرج معه، تنام بجواره، الآن فقط شعر بكيانه وبرجولته وأهميته في الحياة لأن هناك من يتمنى وجوده بجانبه .

***

مضى أسبوع على عودة وسام وآية ابني نور الدين إلى حضن أبيهما، اقترحت ياسمين أن تدعو والد نورالدين ليقيم معهم، فالجو العائلي سوف يساعد الأبناء على الاندماج والتآلف مع ياسمين بسهولة، رحب الأب بالفكرة طالما ستكون في صالح الجميع، وبالفعل كانت الفيلا تسعهم جميعا، أحب الأولاد المنزل الواسع وأحبوا اللعب فيه، استعانت ياسمين بمديرة منزل لمساعدتها، لم تكن هناك غير مشكلة واحدة ليست هينة، هي أن الأبناء لايحبون ياسمين ويعاملونها معاملة سيئة نتيجة ما علمته لهم مروة، وأصبح دور الجميع الآن أن يعالجوا هذه المشكلة.

كانت ياسمين تشتري لهما الهدايا، وسام يبلغ من العمر ست سنوات، هو أكثر عداءً لياسمين من آية التي تبلغ من العمر أربع سنوات فقط، ولأن ياسمين كانت تتفهم جيدا أنهما ضحية والدتهما كانت تتحملهما وتوجههما دائما وتحنو عليهما .. تظهر نظرات العداء في عين وسام فعندما تحاول الاقتراب منه كان يبتعد ويقول لها ببراءة الأطفال وصراحتهم المطلقة : أنت وحشة، **أنا لا** أحبك.

أما آية فكانت تشعر بالخوف من ياسمين.

حاولت بكل الطرق أن تكسب حبهما لكنها لم تفلح، كان نورالدين يتألم كلما رأى ذلك من الأولاد وأحيانا ينفعل عليهم فتبكي الصغيرة وتصرخ: أنا عايزة ماما، ياسمين وحشة.

كانت ياسمين تتألم كثيراً من هذا الكلام، ليس فقط لأنه الشعور الحقيقي للأولاد، وإنما لأنها تعلم أنهم يتألمون لوجودها في حياتهم.

وفي يوم كانت ياسمين تجلس شاردة تفكر في مشكلة الأولاد، فاجأتها ولاء بزيارة، وكانت مفاجأة سعيدة، تهلل وجه ياسمين فرحا لرؤية صديقتها الوحيدة القريبة

من قلبها، فهي بالتأكيد سوف تخفف عنها شعورها بالألم.

ياسمين : أتعلمين؟ كنت أفكر الآن أن أتصل بكِ ؟

ولاء : بالتأكيد حبيبتي، لقد رأيتك في الحلم تنادين علي فكيف لا آتي مسرعة؟!

احتضنتها ياسمين قائلة: حبيبتي أنتِ شديدة النقاء أبليتِ حسنا أن جعلتني أراك اليوم، تعال نجلس معا في الرووف حيث أشجار الياسمين الجميلة.

صعدا معاً للرووف وجلسا تُفضي كل منهما للأخرى بما يشغلها، روت لها ياسمين مشكلتها مع الأولاد، فطلبت منها أن تكون صبورة ولا تشعر بالذنب، وتحاول معهما مرات عديدة فمازال الوقت طويلا والفرصة متاحة لإصلاح ما أفسدته مروة، وراقت لياسمين هذه النصيحة من صديقتها .

أما ولاء فقد أخبرتها كل شئ عن هاني، واعترفت لها بأنها تميل إليه وأنه أخيراً طلب الزواج منها، ولكنها خائفة لأنها صارحته بكل ظروفها وهو متمسك بها.

نصحتها ياسمين بألا تقبل الزواج منه إلا بعد أن تتأكد من صدق مشاعره تجاهها، ووجهت إليها دعوة على

العشاء ومعها هاني ليتعرفا عليه هي ونورالدين .. كانت ولاء سعيدة بهذه الدعوة لأنها بالفعل تشعر بالوحدة في هذه الظروف وتشعر بأنها تحتاج لوجود والديها أكثر من أي وقت آخر .

...

انفرجت أسارير ياسمين وراحت تعد العشاء لأسرتها التي تحبها وتعمل على إسعادها بكل الطرق، وبعد أن ذهب وسام وآية للنوم مع الجد، الذي تعود أن يظل يروي لهما الحكايات حتى يستسلما للنوم، ذهبت ياسمين ونورالدين لغرفتهما.

نورالدين: حبيبتي أنا أعلم تماما أنك تبذلين جهداً كبيراً لتغيير الأولاد وأقدر لك ذلك، ولكني لا أريدك أن ترهقي نفسك وصحتك .

- وأنا أحبك كثيراً وعلى استعداد لفعل أي شئ كي أرى هذه السعادة التي في عينيك دائما

طبع قبلة على شفتيها قائلا : أنتِ ملاك حبيبتي.

احتضنته ياسمين وأغمضت عينيها حتى راحت في سُبات عميق

****

في الصباح نهضت ياسمين من فراشها، ارتدت (تي شيرت) أبيض خفيفاً وبنطلونا رياضياً، بدت رشيقة كعادتها، نزلت للأسفل، كان الجد في المطبخ يعد الإفطار، قبلته ياسمين قائلة :

- صباح الخير بابا كيف حالك؟

- أنا بخير طالما أنتم جميعا بخير حبيبتي

وقفت ياسمين تساعده وبعد أن انتهيا جلسوا جميعا باستثناء نورالدين الذي ذهب للعمل مبكرا.

تناولوا إفطارهم ودخلت ياسمين مرة أخرى للمطبخ لغسل الصحون، وبعدها خرجت للتمشية ما يقرب من ساعة، ثم عادت للمنزل وصعدت لحجرتها، فوجدت وسام يخرج مُهرولاً من الحجرة، نادت عليه لم يرد، فدخلت الحجرة ووجدت شيئاً غريباً لم تتوقع حدوثه!!

****

استيقظ أحمد من نومه في حجرة أولاده، لم يجدهم معه في الحجرة، كان مستغرقاً في النوم لم يشعر بهم حينما خرجوا مع والدتهم إلى مدرستهم، ولكن ترى أين ذهبت هي الآن؟ لابد وأنها تعودت أن تعتمد على نفسها في شراء أغراض المنزل.

انتهى من حلاقة ذقنه ودخل يضع بعض الملابس في حقيبة صغيرة، فهو اشتاق كثيراً لعايدة، لم يذهب لها منذ ثلاثة أيام قضاهم في المنزل حتى لا تشك نهال في أمره، ووافقت عايدة على مضض بعد أن أخبرها بأن والدته تشك في الأمر وتسأله كثيراً عن سبب غيابه عن المنزل. لكنه لا يستطيع أن يبتعد عن زوجته عايدة أكثر من ذلك، تعلق بها كثيرا بعد أن ذاق طعم الحياة معها وصارت على يقين الآن أنه هو من لا يستطيع الغياب عنها أبداً، في الوقت نفسه بدأت نهال تلاحظ غياب أحمد المستمر عن البيت، لم تهتم كثيرا في البداية ولكن مع احتياجها له في أمور كثيرة، كانت تعتمد عليه فيها، شعرت بالضيق .. لاحظت ذات يوم رائحة العطر الفجة من ملابسه، وفي يوم آخر وجدت آثار روج في قميصه فشعرت فجأة بالغيرة، رغم أنها تتصف في أغلب ردود أفعالها باللا مبالاة، غير أنها هذه المرة وجدت نفسها مهتمة بحضوره وغيابه عن البيت والبحث في ملابسه دائما.

***

-١٤-

زواج ولاء

في مطعمٍ فخم كل شئ فيه مُعد بأناقة، الموسيقى الكلاسيكية تبعث على الرومانسية والهدوء، مائدة أنيقة تطل على بحيرة صغيرة، يجلس نورالدين وعلى يمينه تجلس ياسمين، ومقابله يجلس هاني وبجواره ولاء، يتناولون العشاء ويتحدثون قليلا، كان هاني مرتبكاً في البداية أمام نورالدين وثقته بنفسه وحواره الراقي، كأنه يخشى شيئاً، ولكنه مع الوقت ومحاولته تقليد طريقته في الحوار، اكتسب بعض الثقة في نفسه. مضت الساعات والجميع مستمتع بالوقت وبعد أن نهض الجميع وخرجوا من المطعم، وقفت ولاء جانباً تتحدث إلى ياسمين:

- أرى شيئاً في عينيك أخشى أن أسميه حزناً

-أجابتها مطمئنة إياها: حبيبتي أنتِ نقية وشفافة اطمئني لا مكان للحزن مع نورالدين، قد يكون فقط مجرد إرهاق، هل حددتما موعد الزواج ؟

- أنت تعلمين أنني أحب التغيير في الأثاث، ولذا لن يكلفني الأمر سوى حجرة نوم جديدة، ولكن أنا أفكر أن نعلن الخطوبة ونؤجل موعد الزواج قليلا.

- لماذا يا حبيبتي هل تخافين شيئاً ؟

- لا أخفي عليك يا ياسمين أنا تعلقت به كثيراً ولكني أخشى شيئا مجهولا، لم أر منه شيئاً مخيفاً، ولكن قلبي ليس مطمئناً للمستقبل، هل بالفعل يستطيع أن يكتفي بي ولن يشتاق أن يكون أباً في يوم من الأيام؟ وفي الوقت ذاته أشعر أني اكتفيت من وحدتي وأريد أن يكون أحد بجانبي.

احتضنتها قائلة لها :

- لا تحرمي نفسك من السعادة حبيبتي، الزواج سيظل بابا مغلقا ونحن نطرق عليه خائفين نفكر هل وراءه فرح وسعادة أم ظلام دامس تتحرك داخله أشباح سوداء؟ وأتحداك إن علم أحد قبل أن يفتح هذا الباب،

ضحكت ولاء وقالت : وأنت ماذا وجدت ؟

- اطمئني وجدت ملاكاً هبط عليّ من السماء

بصوت قلق قالت لها : ليتني أجد هاني ملاكاً وتتبدد مخاوف قلبي!

في اليوم التالي أخذت ياسمين موعداً لعيادة طبيب نفسي للأطفال، ذهبت وجلست معه ما يقرب من الساعة والنصف، روت له كل ما تعرفه عن الطفلين، وعن مروة، وكيف تعرفت على نورالدين، وتزوجته وعن آخر تصرف لوسام، وطلبت منه أن يساعدها في أسلوب التعامل معهما، ورد فعلها على تصرفاتهما العدوانية معها .. سألها الطبيب عدة أسئلة وتأكد من صدق مشاعرها تجاه الأولاد وأنها بالفعل تريد مساعدتهم وإسعادهم أيضا، أخبرها أن الأمر لن يكون سهلا في البداية نظراً لأن الأبناء هم الضحية الأكبر للزواج الثاني؛ لأنهم يرون الأب ملكاً خاصاً لهم ولا يجب أن يشاركهم فيه أحد، وذلك بالطبع يؤثر على حالتهم النفسية والعصبية، ولكن إذا ظلت تحاول دون يأس وبأسلوب علمي بجانب حبها، لهم سوف تصل بهم للشعور بالأمان الذي يفتقدونه بغياب الأم أو الأب .

كانت ياسمين تستمع للطبيب باهتمام وتفاؤل، ولكنها كانت تتألم أيضا لأنها، ولأول مرة، تشعر بالذنب لأنها ظهرت في حياة نورالدين، سالت منها دمعة لم تستطع

منعها .. قادت سيارتها وعادت للمنزل، كان نورالدين في انتظارها قلقا .. سألها :

- ياسمين أين ذهبت؟ قلقت عليكِ، ولماذا كان الهاتف مغلقا؟

- سأروي لك حبيبي كل شئ ولكن عدني ألا تتدخل في الأمر وأن تتركني أعالج كل شئ بنفسي

يرد بقلق : أعدك .. ماذا حدث؟

- اطمئن هو شئ صغير ولكننا يجب أن نعالجه، الأبناء يكرهونني بالفعل ولا يريدون وجودي معكم، وهذا الشعور يزداد لديهم إلى حد جعل وسام يمسك مقصاً صغيراً ويمزق ثياب نومي، عندما وجدت ثيابي مهلهلاً أمامي اندهشت وخشيت عليه من عدوانيته وعلى شقيقته آية أيضا، وشعرت أني لابد أن أستشير أخصائيا نفسيا، وهذا لصالح الجميع.

بقلق زائد : فعلتِ خيراً حبيبتي وماذا قال لك ؟

- هناك خطوات يجب أن نتبعها معاً لمساعدتهما، أهمها أنك يجب أن تهتم بهما وبتواجدك معهما أكبر وقت ممكن إلى أن ينكسر الحاجز الذي بيني وبينهما أرجوك.

- ألم أقل لك إنك ملاك !

- كيف أكون ملاكاً وأنا أخذتك منهم دون إرادتي وتسببت في عذابهم ؟

(وبكت ياسمين)

- ياسمين، هذه أول مرة أراك تبكين هكذا، لماذا تعذبين نفسك؟ أنت لا ذنب لك، مروة هي المسؤولة الوحيدة عن عذابهما مرتين، الأولى لأنها اضطرتني أن أكره الحياة معها، والثانية لأنها تخلت عنهما من أجل أنانيتها، أرجوك لا أريد أن أرى دموعك مرة ثانية.

اعتذرت له وجففت دموعها وقامت لتغير ملابسها وتعد لهم العشاء.

كان والد نورالدين ينظر إليها ويشعر بها، يشعر أن حالها قد تغير عن ذي قبل، ليست هذه هي ياسمين المرحة المشرقة، كلما وجدها حزينة يفكر أن يتحدث معها في الأمر ولكنه يتراجع، كان شعورها بالذنب تجاه وسام وآية حاجزاً بينها وبين شعورها بالسعادة مع نورالدين

****

علمت والدة أحمد أنه تزوج، وعندما حاولت أن تقنعه أن ينفصل عنها، ثار عليها للمرة الأولى وطلب منها ألا تتطرق لمناقشة هذا الموضوع مرة أخرى؛ لأنها تسببت في تعاسته عندما أجبرته على الزواج من نهال، ولن يسمح لأحد مهما كان أن يسلبه سعادته التي وجدها مع عايدة.

كان تغيير أحمد مفاجأة للأم، أسلوبه، أفكاره، زواجه من أخرى جعله يخرج للحياة، تعلم والدته جيدا أن لديه كل الحق فيما فعل، ولكن واجبها نحو زوجته وأولاده هو الذي دفعها للكلام معه، لم يعد أحمد خائفاً أو قلقاً من زواجه بل على العكس هو يشعر أنه قد تأخر كثيرا على هذا القرار، هو الآن أصبح قادرا على فعل أي شئ حتى لو كان مواجهة نهال بزواجه، شئ واحد فقط غير قادر عليه ولن يفعله أبدا، هو أن يبتعد عن أولاده، فهو يذهب إليهم باستمرار وينام معهم في حجرتهم حتى يشبعهم من حبه وحنانه .. وفي يوم كانت عايدة تحاول أن تُبقيه معها طوال الأسبوع ويأتي بأولاده عندها، تشاجر معها وهددها إن فكرت في هذا ثانيا سوف يذهب لهم دون عودة، فتراجعت بسرعة عن تلك الأفكار التي سوف تجعلها تخسر كل شئ .

هو لا يريد أن يحرم نهال من أولادها، لا يريد أن يظلم، بل يحاول بقدر الإمكان أن يعطي كل ذي حقٍ حقه، نهال رفضته كزوج ورجل، وهو يرفضها الآن ويرى في ذلك حقه، وأولاده يحتاجون إليه وإلى حضنه وسيظل معهم ولن يبتعد عنهم، حتى لو أعطاهم نصف وقته، المهم أن يشعروا بوجوده الدائم معهم .

****

استيقظت ياسمين فجراً لم تجد نورالدين بجوارها، نهضت من فراشها تبحث عنه هنا وهناك، اتجهت نحو غرف الأطفال، وعلى بعد خطوات من حجرة آية سمعت بكاءها وبدا من حشرجة صوتها أنها بكت كثيرا، لم تدخل ياسمين حتى لا تتسبب في زيادة توتر البنت، كان نورالدين يحاول تهدئتها وهي تبكي وتقول له : أريد ماما .. أين ماما؟

فأشفقت عليها ياسمين، تقدمت من الباب ودخلت لتهدئها، فإذا بالبنت تصرخ فيها وتقول لها: أنا لا أحبك ولا أريدك أنت .. أنا أريد ماما.

كلمات طفلة بريئة من الممكن أن تتقبلها أي امرأة ولا تعيرها اهتماما، أما ياسمين صاحبة القلب الحنون والإحساس المرهف، لم تستطع أن تسمع هذا الكلام،

خرجت مسرعة من الغرفة وظلت تبكي في فراشها، ولكنها تظاهرت أنها نائمة عندما عاد نورالدين وحاول إيقاظها ليعتذر لها.

شعرت ياسمين أنها تُحمله الكثير من العناء، وأنها غير قادرة على تحمل هذا الذنب.

ذهب نورالدين إلى عمله، وعاد في المساء، أخبره والده أنه سمع الباب يغلق ولم يجدها، فعلم أنها ذهبت لمكانٍ ما، ولكنها لم تأتِ إلى الآن .. صعد نورالدين لغرفته فوجد رسالة مكتوبة من ياسمين، قرأها ..

"لم أكن أتخيل أن شعوري بالذنب تجاه أولادك من الممكن أن يحطم سعادتنا هكذا، أشعر أني أنانية، وأني أخطأت يوم وافقت على زواجنا، عُد لزوجتك من أجل الأولاد وكن رحيماً بهم، أما أنا فيكفيني أنك تحبني، لا تحاول معي فلن أرجع عن قراري هذا.

ياسمين"

جلس نورالدين على الفراش غير مصدق ما حدث، وكأن قدمه لم تستطع حمله، ظل في الفراش حزيناً حتى أتى إليه والده وعلم ما حدث وشعر بحزن شديد.

مضت أيام ظل فيها نورالدين راقداً في الفراش، رافضاً لكل شيء بعد أن غابت ياسمين وغاب معها جو المرح والحب والحنان.

كان اليوم يمر وهو لا يتناول شيئا غير القهوة، فأصابه الضعف وانهارت قوته، أشفق والده على حاله فطلب منه أن يذهب إلى ياسمين ويرجوها العودة، فرفض نورالدين قائلا :

- أنا أعلم ياسمين وأعلم أنها تتعذب الآن، ولكنها سوف تُفضل عذاب بُعدها عني، عن عذابها وهي ترى حزن الأولاد، سوف أتركها حتى أجد حلاً للمشكلة يا أبي

****

كانت والدة ياسمين تحزن كلما رأتها باكية، ولم توافقها على ما فعلت لأنها حذرتها قبل أن تقدم عليه، وهي وافقت أن تتصدى لكل شئ، غير أنها ترى نورالدين إنساناً مثاليا ولم يقصر في شئ.

لم تخبر ياسمين ولاء بشئ حتى لا تعكر عليها صفو أسعد أيامها، فهي حددت موعد زفافها هذا الأسبوع .

مضت الأيام ولم يأتِ نورالدين، اعتقدت ياسمين أنه سلم بالأمر الواقع وسوف يعود لمروة كما طلبت منه.

****

تزوجت ولاء من هاني وهي خائفة، لكنها كانت تخاف أكثر من وحدتها، كان يدللها ويهتم بها ويغرقها بكلمات الحب، وهي تحتاج لكل ذلك.

ظلت ياسمين معها تساعدها في كل شئ يوم الزفاف، وفي اليوم التالي رافقتها إلى المطار لتبدأ رحلة شهر العسل، التي كانت تريدها داخل البلاد، ولكن هاني أراد أن تكون بالخارج وبالتحديد تركيا .

كانت ياسمين سعيدة من أجل صديقتها وتتمنى أن يكون هاني حنوناً مثل نورالدين، فجأة سألت نفسها: "ترى هل هو بخير الآن ويرتب للعودة لزوجته أم عاد لها بالفعل؟ لقد اشتقت إليه كثيرا، ترى هل يفكر بي أم انشغل بأسرته؟ مضى شهر الآن منذ أن تركته ولم يتصل أو يأتِ!! ترى هل هو غاضب مني أم ماذا؟ هل يعلم أني أتعذب من أجله وأنني ضحيت بسعادتي من أجل أطفال أبرياء لا ذنب لهم فيما يحدث؟"

تنهدت ياسمين متألمة: "أين أنت الآن وكيف حالك؟ هل تتعذب مثلي أم ماذا ؟"

****

تدهورت الحالة الصحية لنورالدين، الذي أهمل في كل شيء، وفي يوم كان والده يحاول إيقاظه لم يُجِبه ولم يستيقظ، أصيب والده بالذعر وطلب سيارة إسعاف لنقله إلى مستشفى قريب من المنزل، وهناك قضى يوما كاملا حتى استعاد توازنه واستطاع أن يتحرك، ومنذ ذلك اليوم عاد نورالدين تدريجياً يهتم بصحته ونفسه من أجل أبنائه، وعاش على أمل أن تعود إليه ياسمين .

****

-١٥-

تأخر الوقت

دبت الغيرة في قلب نهال فجأة، لم تعترف لنفسها أو لغيرها بشئ ولكنها بدأت تتغير قليلا، لاحظ أحمد ذلك ولكنه لم يهتز، كان يراها ترتدي ملابس مختلفة عن ذي قبل، بدأت تضع مساحيق تجميل على وجهها، تهتم بتصفيف شعرها دون أن تتحدث معه في شيء، **كان** يتجاهلها بقدر ما تحملها سنوات طويلة وكانت تتجاهله، إلى أن قررت في يوم أن تواجهه، فسألته :

- أحمد .. لماذا تغيب كثيراً عن البيت؟ وأين تنام؟ ومع من ؟

- ولماذا تسألين؟ ومنذ متى تهتمين بغيابي أو وجودي؟

- لا شيء سوى أنه ليس من اللائق أن تتركنا وحدنا وتنام في مكان آخر.

- تعودت أن أنام وحدي منذ سنوات ولم تبحثي عني أو تحتاجينني في شيء، أكان هذا من اللائق؟

كعادتها تبكي وتقطب الجبين قائلة: أنا أتحدث معك فقط من أجل الأولاد هم يسألون عنك دائما.

وكأن غضبه فوهة بركان خرجت منها نيران حرمان سنوات .. انفعل أحمد قائلا :

- حتى وأنت تريدين أن أعود للبيت لا أشعر بصدق مشاعرك، أنا أعلم أنها فقط الغيرة ولا أعلم منذ متى تشعرين بي وتريدين وجودي! ألم تشعري باحتياجي لكِ من قبل؟ جعلتني سنوات طويلة أشعر أني غريب في منزلي كأني زائر في فندق، بل جعلتيني أكره بيتي، ولولا وجود أولادي معكِ ما كنت جئت لهذا البيت مرة ثانية، ولكنهم الأهم عندي ولن أتخلى عنهم أبدا، أما أنت فيكفيك أن تعلمي أنك لا تستحقين الحياة معي، أنت تعشقين الحزن والبكاء وأنا لا أطيق الحياة معك، أنا تزوجت من أخرى ولن أعود إليك مرة ثانية، وكرماً مني سوف أتركك زوجة لي تحملين اسمي وتعيشين في هذا البيت مع أولادك وألبي لكم كل احتياجاتكم، وهذا هو ما يهمك، وإذا أردت الانفصال فليس لدي أي مانع، أما أنا فقد وجدت الإنسانة التي تستحق حياتي معها وحبي لها وأنا أعلم أنك لن تتأثري كثيرا بما فعلت.

وخرج أحمد وأغلق الباب خلفه، في حين ظلت نهال تبكي كعادتها .

****

ذهبت ياسمين لزيارة ولاء بعد أن عادت من رحلتها بأسبوع، حيث تركتها تستريح، ولكنها شعرت من صوتها بشئ ما يقلقها، فقررت زيارتها والاطمئنان عليها، استقبلتها ولاء بسعادة كانت تفتقدها كثيراً..

- ولاء أرى في عينيك شيئا يقلقني .. ماذا بكِ ؟

ترقرقت دمعة في عين ولاء وهي تروي لصديقتها:

- للأسف كل مخاوفي بدت صحيحة، هاني لم يحبني بصدق، هو يحب مالي أكثر مني، تزوجني ليحقق أحلامه بمالي أنا.

- ماذا تقولين؟ هل تأكدتِ من ذلك أم أنها هواجس وظنون ؟

- ماذا أقول لكِ يا صديقتي؟! لقد أخبرني في البداية أن لديه مبلغا كبيرا في البنك ينفق منه، وأنا لم أتأكد من الأمر ولم أحتج منه شيئاً، ولم يُحضر لي شيئا سوى خاتم الزواج، كما أنني منذ اليوم الأول الذي رأيت فيه والديه، شعرت بفارق اجتماعي كبير غير الذي يظهره، وبرغم عدم شعوري بالراحة إلا أني اعتبرت هذا الشعور كِبراً واستعلاءً وعنّفت نفسي، ولكن ما اتضح لي بعد ذلك أنه خدعني كي يصل لمالي.

- وكيف تأكدتِ من ذلـك ؟

- طوال الرحلة يطلب مني هدايا ونقودا وهو يدعي أنه نسي بطاقات البنك الخاصة به، هو مصاب بهوس الشراء وكأنه لم ير نقوداً من قبل، أشعر أني تسرعت في الزواج منه .

- حبيبتي هوني على نفسك، لا تستطيعين التأكد من ذلـك إلا من مواقف كثيرة وليس من موقف أو اثنين حتى تتجنبي ظلمه.

- أتمنى أن يكون ذنبي هو ظني به، أطلب من الله أن يغفره لي، على أن يكون ذنبي أني قبلت وجوده في حياتي فأظل أحترق بنار شره وضعفي، دعكِ من حالي، ألم يأن الأوان بعد أن تبوحي لي بسر الحزن الذي في عينيكِ؟

تنهدت ياسمين بألـم قائلة : سأروي لـك حبيبتي.

أطلعتها ياسمين على كل شيء عنها وعن أبناء نورالدين وعن شعورها بالذنب، الذي أصبح حائلا بينها وبينه.

ولاء: كان يمكنك أن تحاولي كثيرا ولا تيأسي بهذه السرعة.

ياسمين : قد تكونين على حق ولكن لم يعد يُجدي، مضى أكثر من شهر ولا أعلم ماذا حدث، لم يفكر نورالدين أن يأتي ولو مرة واحدة منذ أن تركت المنزل؟

احتضنتها ولاء وهي حزينة لما مرت به، وحاولت أن تواسيها قائلة :

- أشعر أنها ليست النهاية لأني على يقين من أن نورالدين يحبك كثيرا ولا يستطيع أن يبتعد عنك، وقد يكون غيابه هذه الفترة له سبب قوي منعه من أن يأتي إليك .

- أنا لا أريد سوى أن أطمئن عليه فقط، أما أنا فلن أرجع عن قراري .

****

مضى أسبوع آخر بعد زيارة ياسمين لصديقتها ولاء، وفي صباح يوم مشرق استيقظت ياسمين، تناولت إفطارها مع والدتها وأعدت القهوة، ثم جلسا يتناولانها في الشرفة كعادتهما، وأثناء جلوسهما رن جرس الباب، ذهبت ياسمين لتجد أمامها شقيقها أحمد وعلى وجهه

ابتسامة عريضة وسعادة لم ترها من قبل، استقبلته بوجه مشرق .. قبّل جبينها..

- اشتقت لك كثيراً يا أحمد كيف حالك؟ تعال اجلس معنا سأعد لك قهوتك.

- وأنا أشتاق إليك ولقهوتك اللذيذة حبيبتي.

دخل أحمد وألقى التحية على والدته وقبّلها وهي ترد عليه بامتعاض كأنها تريد أن توصل له رسالة أنها غير راضية عما فعل.

جاءت ياسمين وجلست سعيدة بوجود أحمد..

- أخبرني حبيبي كيف حالك ؟

- بخير يا ياسمين أشعر بسعادة لم أشعر بها من قبل؟

- والأولاد هل هم سعداء أم أن زواجك جعلك تنساهم؟

- كيف أنساهم وأنا تحملت الحرمان من كل شيء طوال السنوات الماضية من أجلهم ؟! اطمئني يا ياسمين أنا أحرص على أن سعادتي لا تأخذ من سعادتهم شيئاً، أذهب إليهم باستمرار وأنام معهم في غرفتهم طوال فترة وجودي في المنزل وأحضر لهم كل مايريدونه، إذا كان لا يضرهم بالطبع.

سألته الأم ببعض القلق من المستقبل: وهل ستظل هكذا معهم بعد أن تنجب زوجتك أخاً لهم؟

أجابها أحمد بثقة تامة: ألأنانية ليست من صفاتي حبيبتي وأنت تعلمين ذلك جيدا، فمن المستحيل أن يغيرني شئ أو أحد مع أطفالي، غير أن عايدة بالفعل لم ولن تنجب، وهذا كان سبب انفصالها عن زوجها السابق، عايدة شخصية طيبة يا أمي ويكفي أنها مستعدة لفعل أي شيء يسعدني.

انفعلت الأم : وهذه المسكينة التي تنتظرك ما ذنبها؟

- أرجوك يا أمي لا تتخيلي أشياء ليست موجودة في الواقع، المسكينة التي تتحدثين عنها لو كانت جعلتني أشعر أنها تفتقدني يوماً واحداً ما كنت ذهبت لغيرها، المسكينة التي ذبحتني بدمٍ بارد وأنا أشعر معها أنني ضيف على بيتي، هي فقط تفتقد الحزن والبكاء وتجد سعادتها معهم، أرجوك يا أمي لا تحاولي معي، توقفي عن الحديث في هذا الموضوع، تستطيعين لومي فقط يوم أن أتخلى عن أبنائي أو أبتعد عنهم.

(ثم نظر إلى ياسمين موجها كلامه لها): وأنت يا ياسمين لماذا تتحملين خطأ غيرك دائما؟ هذه المرأة التي تخلت عن أبنائها وجعلتهم سلاحاً لمحاربتك لم تفكر في

الضرر والأذي الذي لحق بهم، بدلاً من أن تعذبي نفسك وتعذبي معك نورالدين احتضنيهم وتحمليهم ما استطعتِ حتى تصلوا معاً إلى بر الأمان، واتركيها هي تتحمل الذنب وحدها، ذنب تخليها عن أولادها، حينها فقط حبيبتي سوف تشعرين أن الحب أقوى وأنك أنقذتِ أبناء نورالدين من أم معقدة تلقي بأبنائها في طريق الهلاك من أجل أنانيتها .

- تغيرت كثيرا يا أحمد!

- نعم .. الحزن يحجب عنا النور يا ياسمين، وهؤلاء الذين يجبروننا أن نعيش أحزانهم وعقدهم وعجزهم عن تغيير أنفسهم، ينقلون لنا تدريجياً عدوى الظلمة التي في قلوبهم، ولولا بصيص إيمان في قلوبنا لضاعت منا البصيرة وصرنا مثلهم، لا تستسلمي لشعورك بالذنب ولا تترددي في لعودة لحياتك ومرحك، وثقي بي سوف تكونين أنتِ طوق النجاة بالنسبة لأولاد نورالدين، فكم من أم لا تستحق الأمومة!

مشى أحمد وظلت كلماته ترن في سمع ياسمين، حتى أنها بدأت تقتنع بكل كلمة قالها، وفي الوقت نفسه كانت سعيدة من أجل سعادة أحمد والتغير الإيجابي الذي حدث في شخصيته، وسعيدة لأنها شعرت أنها من الممكن أن

تعود لنورالدين، ولكن كيف وهي تركته هكذا؟ وطوال الفترة الماضية لم يتصل هو أو تتصل هي، ترى ماذا فعل في تلك الفترة وماذا حدث للأولاد ؟

****

سمعت ياسمين رنين الهاتف، نظرت في الشاشة، إنها ولاء، تشغلني عنها مشكلتي أشعر بالتقصير في حقها..

- أهلا حبيبتي أنا ...

لم تكمل ياسمين، أنصتت، كانت تسمع نحيب ولاء وحشرجة صوتها

- ولاء ماذا بـك؟

- أحتاج إليك .. تعال إليّ سوف أنتظرك

_- حالاً حبيبتي لن أتأخر

وأغلقت ياسمين الهاتف وارتدت ملابسها مسرعة وأخبرت والدتها وذهبت.

****

بعد نصف ساعة كانت ياسمين جالسة مع ولاء وهي تبكي وتروي لصديقتها ما حدث :

- حقير، منذ اليوم الأول وهو يستغل سذاجتي، لم تكن لديه أية نقود أو دخل غير راتبه الشهري من عمله، أنا أتعجب كيف لشخص مثله أن يعمل في جريدة محترمة؟!

- اهدئي حبيبتي وأخبريني ماذا حدث لوجهك؟ وما هذه العلامات على جسدك؟ هل تطاول عليك بالضرب؟

فأجهشت ولاء بالبكاء وهي تقول :

- كان يريد أن أوقع له شيكاً بمائة ألف جنيه وعندما رفضت حاول أن يجبرني وانهال عليّ ضرباً، أشعر أنني في كابوس مزعج أنا لن أحتمل هذا الرجل، تزوجني لأنه يريد المال، علم من الزملاء أنني وحيدة ولدي ميراث من أبي وأمي فظن أنه وقع على كنز، لكني اكتشفت أنه ليس طبيعياً، له أفعال غير سوية.
انفعلت ياسمين عندما رأت صديقتها في هذه الحالة:

- اهدئي حبيبتي .. بالفعل أنت لا تحتملين هذه المعاملة ظلت ياسمين تهديء من حالتها طوال اليوم إلى أن عاد هاني كأن شيئاً لم يكن، ثارت عليه ولاء وحذرته ياسمين إن تطاول عليها سوف تبلغ الشرطة، كان محترفاً في التمثيل، برر أنه يريد المبلغ من أجل عمل مشروع خاص به حتى يوفر لها مستوى معيشة يليق

بها، كادت ياسمين أن تصدقه وتتعاطف معه لولا أن ولاء فاجأتها بأنها ليست المرة الأولى وأنها أعطته قبل ذلك شيكاً بتوقيعها بمبلغ خمسين ألف جنيها، أدركت ياسمين على الفور أنها حيلة وأنه بالفعل يطمع في أموالها، ولكنه لم ييأس من سذاجة ولاء، ظل يتودد إليها حتى أبدت استعدادها للصفح والعفو .

عادت ياسمين إلى منزلها مندهشة من صديقتها، لم تكن أبدا في يوم ما بهذه السلبية وهذا الضعف، ماذا حدث لها؟ هل هو الحب؟ أم الشعور بأن شيئاً ينقصها لا تستطيع أن تعطيه لها وخاصة أنه يذكرها به دائما. كانت ياسمين مرهقة في هذه الليلة فما إن تناولت وجبة خفيفة وأخبرت والدتها بما حدث حتى راحت في نوم عميق .

-١٦-

كانت مروة جالسة تخطط كيف تستعيد زوجها السابق وأمواله وهداياه التي كان يغدق عليها بها، دخل شقيقها الذي يقيم معها في الخارج، ألقى عليها التحية وقدمت له العشاء، ثم راح يتحدث إليها:

- ما رأيك في الشيخ أبوحمد الذي كان معنا على العشاء الأسبوع الماضي، هل تذكرينه؟
- نعم أتذكره لأنه كان يتطلع إليّ كثيراً ماذا به ؟
-هو يريد أن يتزوجك وتقيمي معه، هو متزوج من ثلاث وسوف يحضر لك سكناً خاصاً وكل طلباتك . لقد تحدث إلي وهو ينتظر رأيك.

طال صمت مروة حتى ظن شقيقها أن بها شيئاً ثم قالت:

-سوف أسافر بعد غد للقاهرة أحاول مع نورالدين، أنا لا أقبل فكرة أن أتركه لياسمين بهذه السهولة تنعم به، إذا نجحت في إقناعه كان أفضل، وإذا كان الوقت قد فات سيكون ردي على أبوحمد هو الموافقة.
-ولماذا السفر والتعب؟ أبوحمد لديه أموال لا حصر لها.
(بلهجة احتقار لأخيها) :

-لابد سيكون لـك فيها نصيب كبير.
- بالطبع، لقد وعدني أن يكافئني بمبلغ كبير يوفر عليَّ غربة سنوات طويلة.

(بلهجة حازمة) :

-سوف أسافر أولاً، وعندما أعود نتكلم.
-أنت تضيعين وقتك دون فائدة.

تجيبه وعيناها يملؤهما الحقد والغل :

- سوف نرى.

*****

وصلت مروة إلى القاهرة في الصباح، وضعت حقيبتها داخل تاكسي واتجهت إلى عنوان نورالدين الذي أعطاه لها شقيقها، ومنذ اللحظة الأولى التي رأت فيها بيت ياسمين، شبت في صدرها النيران، وتمنت لو تحرقهم جميعاً بنار حقدها.

استقبلها الأطفال بلهفة وسعادة، واستقبلتهم باهتمام ولهفة مفتعلة لم تعتد عليهما، كانت بالطبع غير مرحب بها من قبل نورالدين ووالده، الذي كان يعلم أنها جاءت لغرض سيء، حاولت أن تمثل البراءة كعادتها عندما تريد شيئاً،

ولكن نورالدين كان يقرأ أفكارها ككتاب ممل يريد إغلاقه.

انصرف الأولاد مع الجد، وجلست تتحدث مع نورالدين بنعومة أنثى لم يرها من قبل، لكن كان الصد هو الرد الوحيد على محاولاتها، ولم يكتفِ بصده لها، بل هددها إن استمرت في هذا الخبث سوف يضطر للخروج من المنزل وعدم العودة إليه إلا بعد ذهابها، هددته بأن تأخذ منه الأولاد، فقال لها بهدوء :

-أعلم أنك لن تفعلي لأنك لست قادرة على تربيتهم وحدك، أنت دائما تحتاجين من يحمل عنك المسؤلية، ودائما تعاقبين أبناءك على ذنب لم يفعلوه.

- أنت تكذب ألم ترَ سعادتهم عندما أتيت ؟

- بل أنت من تكذبين على نفسك، فرحوا لأنهم أبرياء لا يعرفون أماً غيرك إلى الآن، فقد صدهم فحيح الأفعى الذي سممتِ به أفكارهم البريئة عن إعطاء الفرصة لياسمين، جعلتيهم يخافون الاقتراب منها، إن لم ترحلي الآن سوف أذهب للشرطة وأبلغهم عن تعذيبك لأبنائك في الرياض وهنا أيضا، أم أنك ظننتِ أن ما فعلتيه بهم سيظل سراً للأبد، كنت أعلم أنك إنسانة مريضة ولكن

لم أكن أتخيل أن يصل مرضك لتعذيب أبنائك بهذا الشكل!

ارتبكت مروة وبصوت مرتعش : عن ماذا تتكلم ؟

- هؤلاء المساكين أبناؤك أخبروني بكل شيء ورأيت أثر الحروق والجروح في جسدهم، أنت مريضة وتحتاجين لعلاج ولا تستحقين لقب أم، الأفضل لك أن تنصرفي الآن دون أن يشعروا بك.

- أنا لم أفعل شيئا أخشاه، كان عقاب أم لأبنائها على الخطأ، دعني أبيت الليلة معهم وأمضي غدا.

- عقاب أم بالحرق وجرح بآلة حادة؟! أنا لن أدعك ساعة واحدة بعد الآن فأنت لا أمان لك.

ارتبكت مروة من مفاجأة أن نورالدين علم ما كانت تفعله بأبنائها، فلملمت أغراضها وطلبت منه توصيلها إلى شقتها، فاكتفى بأن طلب لها تاكسي ولم يهدأ حتى اطمأن أنها ابتعدت عن المكان

لم تهدأ مروة بل زاد حقدها على ياسمين وقررت أن تذهب إليها في منزل والدتها لتطلب منها أن تنفصل عنه نهائياً كي يعود إليها هو وأولاده

****

كانت ياسمين قلقة تتحرك في المكان ذهاباً ومجيئاً، خرجت والدتها تسألها : هل مازالت لا ترد؟

- نعم يا أمي أنا في غاية القلق عليها، تركتها آخر لقاء وهي تضحك وقد سامحته بالفعل كأنها تحاول أن تصدق كذبه، مضت ثلاثة أيام وهي لا تجيب، هل من الممكن أن يكون منعها من الاتصال أو الرد على هاتفي؟ أنا لا أطمئن سوف أتصل بأحمد ونذهب لها البيت.

- لا أعرف يا ابنتي افعلي ما تريدين

بينما هما تتحدثان بتوتر وقلق رن جرس الباب، أسرعت ياسمين : بالتأكيد هذا أحمد.

فتحت الباب، كانت مروة تنظر إليها من رأسها حتى قدميها وياسمين تقف أمامها لا تعرف من هي وماذا تريد، سألتها: تريدين من حضرتك ؟

بعجرفة من يشعر بالنقص تقول: أنت ياسمين ؟

- نعم أنا، من أنتِ ؟

- مروة التي أخذتِ منها كل شيء

بذوق راقٍ قالت: تفضلي كنت أريد أن أتعرف عليك منذ أن عرفت نورالدين

خرجت الأم من الغرفة تسأل ياسمين من الذي جاء، همست لها ياسمين: إنها مروة الزوجة السابقة لنورالدين

- ولما جاءت وماذا تريد ؟

- لا تخافي علي يا أمي اتركينا معاً من فضلك بيننا حديث لابد أن ينتهي

عادت ياسمين إليها : تفضلي لابد وأنكِ جئت لسبب هام جدا

- جئت أرى المرأة التي سرقت زوجي مني وعلى وشك أن تسرق أولادي

- الآن تأكدت أن نورالدين على حق في كل ما رواه عنكِ، أسلوبك يدل على ذلك

- وماذا قال عني هو الآخر ؟

- لا تهتمي بما قال الآن، ماذا تريدين مني ؟

- أريدك أن تبتعدي عن زوجي وأولادي

- أنا بالفعل ابتعدت لماذا لم تقتربي أنت؟ لقد أفسحت لك الطريق، وحانت لك الفرصة، اذهبي إليهم وأتحداكِ إن قبل نورالدين أن يعود إليكِ مرة أخرى.

- لماذا ؟ ومن أين أتتك كل هذه الثقة ؟

- لأن أمثالك خُلقن للتمرد على كل شيء، دائما ساخطة ودائما لا ترضين لا بالقليل ولا بالكثير، أنت كنت تمتلكين الكون كله بزواجك من نورالدين ولكنك لم تقدري قيمة الإنسان الذي كان معك، عشت معه والجحود مسيطر على كل تصرفاتك، استغللتِ حبه لك وحنانه عليك، ومن العدل أن تزول عنك النعم التي لم تقدريها .

ألم تعترفي بأن الحب ضعف وذل؟ ماذا أتى بكِ إذن وأنت ترفضين الحب؟ المال .. نعم تذكرت، الطمع في ماله وهداياه التي لم تهتمي إلا بها

- من الواضح أنه تحدث عني أكثر من اللازم، ولكن أنت تبررين لنفسك أنك أخذتِ زوجي مني

- أنا لم أسرق أحداً، الزوجة الأولى هي من تأتي بالزوجة الثانية على أية حال، الزوجة التي تُذيق زوجها مرار الحرمان من حبها وعطفها عليه وتحاول أن تستحوذ عليه بالكامل مقابل نفاق وتمثيل دور الزوجة النبيلة، هي بنفسها من تدفع زوجها دفعا لكرهها والنفور منها ولكنها مسألة وقت، وفي النهاية تبكي وتندم، وكأن المشاعر تحت الطلب، لا أعتقد أنك تركت شيئا لنورالدين يجعله يتمسك بك .. فأنت وأمثالك اللائي

يقدمن أزواجهن على طبق من فضة لأخريات يتمنين نظرة حب واحدة من التي ترفضونها، كلمة حنان أو هدية بسيطة حتى لو وردة جميلة، أنت لا تعرفين قيمة هذه الأشياء، وفي النهاية تنازلتِ عن أولادك بكل سهولة، كنت تظنين أنني سوف أعاني منهم وأعذبهم مثلك، أنا أحببتهم أكثر من سعادتي ونفسي، لم أتحمل منهم نظرة حزن، أما أنت، طغت عليك أنانيتك، لو كنت أحببتهم كنتِ اجتهدتِ أن تسعدي قلوبهم حتى لو على حساب نفسك أليس هذا دور الأم الحقيقي ؟ التضحية، أما أنت ففضلتِ أن تضحي بهم من أجل أنانيتك وحقدك.

- كيف تتجرأين أن تقولي هذا الكلام ؟

- لقد انتهي كلامي معك، إذا لم يبق لديك ما تقولينه أنت تعرفين من أين دخلتِ .

نظرت إليها نظرة غل ولم تجد ما تقوله سوى جملة واحدة : سوف تندمين على ذلك، أولادي من المستحيل أن يسمحوا لكِ أن تهنئي بالحياة مع نورالدين.

وخرجت مروة، أغلقت ياسمين وراءها الباب وأسندت ظهرها عليه وتنفست بعمق كأنها أزاحت حملا ثقيلا من قلبها .

خرجت الأم على صوت الباب قائلة: فعلا صدق نورالدين هذه المرأة يغلب عليها الشر

انتبهت ياسمين لاختفاء ولاء وعادت تحاول الاتصال بأحمد، رد عليها أحمد، طلبت منه أن يقابلها قريبا من منزل ولاء وذهبا معا، ظلا كثيرا يطرقان الباب والجرس ولم يفتح أحد، أثناء خروجهما من باب العمارة قابلا الحارس، سأله أحمد عن ولاء وزوجها، فأجابه بأنه رآهما أمس يركبان سيارة ولاء ويغادران المكان، فأراد أحمد أن يطمئن ياسمين:

- أعتقد أنهما في رحلة ولا يريدان إزعاجهما

- احتمال وليس أكيد، لكني اطمأننت إلى حد ما

عادا معا إلى المنزل، تناول أحمد وجبة خفيفة مع والدته وأخلد الجميع إلى النوم فقد كان يوما مرهقا

****

خرجت مروة من عند ياسمين مهزومة غير معترفة بهزيمتها، ولكنها قررت العودة للرياض في اليوم التالي مبررة بأن لا شيء يستدعي وجودها، وكأنها ليس لها أولاد يجب أن تراهم أكثر وتجلس معهم وتطمئن على

راحتهم، كان هناك من ينتظر عودتها بلهفة، شقيقها وأبوحمد، تعودت مروة دائما أن تبحث عن المكسب .

في المساء كان ثلاثتهم يجلسون على مائدة عشاء فخمة، في فندق كبير ويقدم لها أبوحمد خاتما من الألماس الحر والابتسامة تملأ وجهها .

****

-١٧-

في الصباح استيقظت ياسمين مرهقة، كانت والدتها مازالت نائمة، تناولت إفطارها وجلست في الشرفة، رن جرس الباب، تفتح لتجد أمامها والد نورالدين، استقبلته بابتسامة مشرقة، رغم آلامها، وقبل جبينها وجلس معها في الشرفة، استيقظت الأم ورحبت به، كانت سعيدة برؤيته لشعورها بأن مجيئه لابد سيكون له تأثير على قرار ياسمين. في البداية عاتبها على قرارها وعدم إعطائه الفرصة لمساعدتها، ثم أبدى لها تقديره لحبها للأولاد وخوفها عليهم، وأكد لها أن بحبها لهم وبتعاونهم جميعا سوف يتخطى الأولاد هذه المرحلة الصعبة من حياتهم، وأنها سوف تنجح في أن تجعلهم يحبونها لأنها تخلص في حبها لهم وخوفها عليهم، وفي النهاية أخبرها بمرض نورالدين طوال تلك الفترة مما جعله غير قادر على مواجهتها والسؤال عنها، وأن غيابها عنه من الممكن أن يدمر حياته بالكامل، وأنه رفض العودة لمروة وأصر على الرفض حتى في غيابها عنه .

بكت ياسمين عندما علمت ماحدث له وأبدت قلقها عليه، ولم تتردد لحظة عندما طلب منها والده أن تذهب معه

في أن تنهض وتغير ملابسها وتعود معه، ولكنها قبل أن تخرج من الباب جاءها اتصال من ولاء، وما إن أجابت حتى سمعت صرخة ولاء وهي تتحدث ولم تفهم منها سوى بيت والده وأغلق الهاتف، كأن أحداً أخذه منها.

انزعجت ياسمين وطلبت من والد نورالدين أن يتصل به ليساعدهم، وبالفعل اتصل به وأخبره باختصار وطلب منه إبلاغ الشرطة .. ذهبت ياسمين ومعها والده إلى الجريدة لمعرفة عنوان والد هاني، وبالفعل حصلوا عليه وذهبوا لمنزله .. فتح لهم هاني الباب، المفاجأة جعلته يقف صامتا لايعرف ماذا يفعل، ثم انتبه وراح يمثل كأن شيئا لم يحدث..

- أهلا ياسمين كيف جئت ولماذا ؟

- أين ولاء ؟

وأخذت تتحرك في المنزل وتنادي: ولاء .. ولاء

كانت هناك في آخر الطرقة الضيقة غرفة متطرفة سمعت منها صوت صراخ ضعيف، جرت ناحية الحجرة وهاني يحاول أن يمنعها، ذهب وراءها والد زوجها : انتظر يا بني ماذا تفعل؟

علا صوت ولاء عندما اقتربا من الحجرة: ياسمين أبلغي الشرطة هذه حالة اختطاف، خدعني وقال لي تعالي نزور والدي وعندما جئنا إلى هنا وضعني في هذه الحجرة ويريدني أن أتنازل له عن كل ما أملك. ظلت ياسمين تدفع الباب هي ووالد زوجها وإذا بهاني يفقد أعصابه ويحضر سكينا من المطبخ يهددهم به، فتصرخ ياسمين مذعورة ويحاول والد نورالدين أن يأخذ منه السكين بالقوة، جرحت يده فصرخ الجميع وألقى هاني السكين من يده غير مستوعب للموقف، في هذه اللحظة كان نورالدين أحضر الشرطة معه وجاء إلى المنزل، الذي علم عنوانه من والده، فدفعوا الباب وأمسكوا بهاني وسط عويل والدته وندب والده، وخرجت ولاء من الحجرة منهارة تماما، فأخذتها ياسمين في حضنها وخرجوا جميعا إلى السيارة وذهبوا إلى قسم الشرطة، وبعد توسلات من هاني واعتذارات وبكاء اشترط عليه نورالدين، بناءً على رغبة ولاء، أن يطلقها أولاً طلاقا لا رجعة فيه وبعدها تتنازل عن البلاغ والشكوى ضده .

في نهاية اليوم انتهت ولاء منه، ولكنها كانت في حالة إعياء شديد، أصرت ياسمين أن تذهب ولاء إلى منزلها لتبيت معها هي ووالدتها.

ذهب الجميع لمنزل والدة ياسمين، انزعجت الأم مما يبدو عليهم من تعب، خاصة عندما رأت والد نورالدين يضمد يده وآثار الدماء عليها، أسرعت تطهرها له بالمعقمات وضمدتها جيدا وطمأنته بأن الجرح يبدو سطحيا ولكن لا يمنع ذلك من زيارة طبيب، شكرها كثيرا.

اعتذرت له ياسمين أن تسببت له في ذلك، فردَّ قائلا :

- أنتِ ابنتي يا ياسمين وصديقتك أيضا كيف لي أن أراكما في خطر ولا أحاول مساعدتكما، لا تقلقي أنا بخير.

أخذت والدة ياسمين ولاء لتغتسل وتغير ملابسها وتتناول شيئا من الطعام وبعدها تستريح في الفراش.

اقتربت ياسمين من نورالدين، أمسكت بيده وقالت:

- أعتذر عن كل شيء، أنت حقا إنسان عظيم

- اشتقتُ إليكِ كثيرا حبيبتي.

- وأنا أيضا ولكني سأبقى هنا مع ولاء حتى تستقر حالتها وتنسى ما حدث وبعدها سوف أعود لمنزلنا، فأنا اشتقت كثيرا للأولاد

احتضنها وقبل جبينها : كما تحبين، سوف أطمئن عليكم بالهاتف فقط حتى لا تشعر ولاء بالحرج.

وانصرف هو ووالده

****

مضى أسبوع قضته ولاء بين ياسمين ووالدتها، كانت ياسمين متفرغة تماما لها، وكانت هي ووالدتها يتحدثان إليها، يخففان عنها ألمها، يذهبن جميعا للتسوق والتنزه حتى تعافت ولاء مما حدث إلى حد كبير .

وفي صباح يوم كن يجلسن جميعا في الشرفة، كانت ولاء شاردة، ربتت ياسمين على يدها، فانتبهت لها وابتسمت قائلة :

- لا تخافي حبيبتي أنا بخير، كانت صدمة فقط، لا أنكر أنه خطئي أن قبلت الزواج منه وأنا لا أثق به ثقة كاملة، كنت أشعر أن هناك شيئا يقلقني من أفعاله ولكني تغاضيت، وقد يكون حزني الفترة الماضية لأني أخطأت في حق نفسي وليس حزنا عليه، فليس هناك أكبر من صدمتي في موت أمي وأبي ولكن عوضني الله بصديقة وأخت مثلك يا ياسمين وأم حنون مثلك يا أمي.

ابتسمت ياسمين واطمأنت على صديقتها واقتربت منها واحتضنتها قائلة : وأنا لا أعرف ماذا كنت أفعل بدونك حبيبتي، أنا أعتبرك شقيقتي

- حسنا ياسمين ولكن حان الوقت لأن أعود لمنزلي فقد اشتقت لكل ركن فيه .

- ولماذا تتعجلين العودة؟ ابقي قليلا حتى لا تؤلمك الذكرى

- لا تقلقي تلك الأيام مضت لحالها، كانت تجربة فاشلة وانتهت، وأنا لا أحب أن أقف عند الفشل، يجب أن أفكر في شيء أغير به حياتي وأشغل به نفسي غير عملي، أنا فكرت في أشياء كثيرة طوال الفترة الماضية واستقر ذهني على فكرة مشروع ناجح وعظيم أضع فيه مالي حتى لا يطمع فيه الآخرون.

الأم : عظيم يا ابنتي هذا هو الحديث الجيد، أن نتغلب على مشاكلنا وتجاربنا الفاشلة بالنجاح في شيء آخر، ولكن أخبرينا عن فكرة هذا المشروع فقد أساعدك إن استطعت.

- بالفعل يا أمي تستطيعين ذلك، أنا فكرت في مشروع خيري وهو ملجأ للأطفال، حتى أشعر بوجودهم يملأ حياتي وأنشغل معهم، ما رأيكم ؟

سعدت ياسمين كثيرا وقالت: أنت رائعة وسوف تشعرين بالسعادة طوال حياتك، فليس هناك أجمل ولا أعظم من أن تسعدي غيرك وخاصة إذا كان طفلا يشعر بالحرمان من والديه

- أنا سعيدة أن الفكرة قد راقت لكما سوف أبدأ العمل بدراستها في أقرب وقت .

****

عادت ياسمين إلى منزلها بعد أن اطمأنت على صديقتها في منزلها هي الأخرى وعادت لحياتها وللعمل كما كانت .

نسيت ياسمين كل شيء ولم تتذكر سوى وجودها بجوار حبيبها، الذي بدوره نسي كل حزنه ومرضه بمجرد أن رآها أمامه، ونهض من مكانه لاستقبالها بابتسامة عريضة وعناق وقبلات ساخنة تعبر عن مدى اشتياقه ولها ومدى تعلقه بها .

دون عتاب أو لوم وعدها نورالدين أنه سوف يساعدها بكل الطرق لكي تصل إلى قلب أبنائه كما تربعت على

عرش قلبه، ووعدته ياسمين أنها لن تتركه مرة ثانية وستظل معه للأبد مهما حدث .

طلبت منه أن يأخذهم جميعا في رحلة أسبوع تحاول أن تقترب منهم في ظل جو هادئ، وافق على الفور، وبالفعل أعدت هي ووالده كل شيء وفي شروق اليوم التالي تحركت بهم السيارة في طريقها إلى الساحل الشمالي حيث الهدوء والراحة، عادت ياسمين إليهم أكثر حنانا ومرحاً، وأعطتهم وقتا أطول للاهتمام بهم، كانت تحب أن ينادونها ياسمين وكانت سعيدة بذلك، أخبرت نورالدين بأنها تريدهم يشعرون بحريتهم وأنها على يقين أنهم يوم يشعرون بقربها منهم وحبهم لها سينادونها ماما دون أن يطلب منهم أحد، تحملت عصبيتهم وحاولت أن تعالج تمردهم بحب وحكمة .

كانت ياسمين تذهب لكل مكان شاهد لقاءهما معا وتتذكر مع نورالدين كلماتهما ويشعران بالسعادة.

عادت ياسمين من الرحلة في تصالح تام مع الأولاد، بدأوا يسألون عنها في غيابها ويهتمون بوجودها تدريجيا، كان نورالدين سعيدا بهذا، يغمرهم جميعا بحبه وحنانه

****

مضت شهور طويلة كانت ولاء بدأت في مشروعها وتتلهف على اكتماله، وكان نورالدين يساعدها بحكم عمله كمهندس ديكور، وياسمين لا تتركها وحيدة في أيام العطلات، تصحبها هي ووالدتها في نزهة مع الأولاد فيسعد الجميع .

في خلال سنة كان المبنى قد اكتمل، وأصرت ولاء على إقامة حفل بمناسبة نجاح فكرتها وتجسيدها على الواقع، دعت فيه بعض زميلات العمل وأحمد وعايدة ووالد نورالدين ووالدة ياسمين وبعض الذين شاركوا في المشروع، كانت سعيدة، شعرت بأنها سوف تجد فيه ما تبحث عنه، قدمت الشكر لنورالدين على مجهوده معها وقدمت له هدية قيمة أيضا.

انتهى الحفل، عادت ياسمين لمنزلها سعيدة، بدلت ملابسها وذهبت للفراش، اقترب منها نورالدين مداعبا إياها قائلا : وأنتِ يا حبيبتي ألم أستحق منكِ هدية أيضا؟ ضحكا معا وضمها إلى حضنه لتذوب فيه عشقا .

في عيد زواجهما الثاني كانت ياسمين قد أنجبت له طفلاً يشبهه كثيراً .. قالت ياسمين بدلال: كنت أريده يشبهني أنا.

فيجيبها نورالدين مدللا إياها: أنتِ لا يشبهك أحد يا ياسمين أنتِ ملاك وأظن أن أحداً لم يحظَ بما حظيت به أنا لأني .. أحببت ملاكاً، وكنت أشعر دائماً عندما أسعد غيري أن لقلبي أيضا حق في السعادة، وأنتِ منحتِ قلبي كل السعادة.

***

انتهت

جذبتني النظرة البريئة، وظننتُ أنها هي من أبحث عنها، وخاصة بعد أن علمت ظروف حياتها، ظننتُ أن كلينا وجد من يعوضه، ويغرقه بالحب والحنان، فحاولت أن أغمرها بعطفي وحناني، ولكن بعد أشهر قليلة تأكدت أنها ليست الزوجة التى كنت أتمناها، حاولتُ معها كثيراً لتتفهم مشاعري وتبادلني المشاعر نفسها، ولكني اكتشفت أنها تعتقد بأن الحب ضعف وإهانة، وترفض تماما أن يقترب منها، فهل يجب علينا أن نعاقب أنفسنا بأن ندفع ثمن اختيارنا الخاطئ عذاباً وحرماناً مدى الحياة ؟!

لماذا نعاقب أنفسنا بالجحيم، ونحن نستطيع أن نعيش سعداء باختيار جديد؟!